بمناسبة صوم الرسل
نقتبس من كتاب "الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل"
لمثلث الرحمات المتنيح الأنبا يؤانس
أسقف الغربية

الحياة المسيحية فى عصر الرسل

قوة المسيحية الروحية

ظهرت المسيحية على مسرح الحياة ديانة فائقة، تدعو لحياة جديدة روحية متميزة عن الحياة الفكرية والأدبية، بكونها حياة القداسة والسلام، وحياة الشركة مع الله والاتحاد به... إنها حياة خالدة، تبدأ بتجديد القلب، وتصل إلى ذروتها في القيامة... هذه الحياة تمسك بزمام أعماق الإنسان، وتعتقه من سلطان الخطية، وتحضره في وحدة حية مع الله في المسيح... ومن هذه الأعماق هي تعمل كقوة مطهرة مجددة، ومنظمة لكل قدرات الإنسان وعواطفه وإرادته وأفكاره، بل وحتى الجسد تحوله إلي هيكل للروح القدس...

والمسيحية تسمو فوق جميع الأديان في نظرية الفضيلة والتقوى وممارستها، وتقدم أرفع مستوى لمحبة الله والإنسان. وليست هذه عقيدة مجردة، أو شيئاً صعب المنال نترجاه فقط ، لكنها حقيقة حية في الرب يسوع المسيح، الذي لحياته ومثاله وخلاصه، قوة وسلطان أكثر من كل قوانين ونواميس الحكماء والمشرعين... فالأعمال تعلن عن ذاتها دوماً بصورة أقوى من مجرد الكلمات... إن شخصية السيد المسيح من المزود إلي الصليب هي بلا لوم... إنه فوق مستوى الخطية والشر "من منكم يبكتني على خطية"... هذا ما اعترف به الأصدقاء والأعداء، إنه أطهر وأحكم إنسان ظهر على الأرض... قد تهبط الكنيسة المسيحية- كجماعة مؤمنين فقط - في مستواها الروحي على أيدي بعض القادة الأشرار، لكن تبقى تعاليم وحياة مؤسسها قائمة دائماً، كمصدر للكمال، وينبوع للتطهير...

لم تستطيع أعظم أساليب الفكر والفلسفة أن تجدد العالم وتغلبه. لكن هذا ما فعله إنجيل المسيح، ومازال يعمله حتى الآن. لقد أجاز حكماء اليونان والرومان ألواناً من الشرور، وناقضوا مبادءهم بسلوكهم... واليهود- على الرغم من أنهم كانوا في مستوى أرفع من مستوى الوثنيين من جهة الفضيلة- لكن أحداً من بطاركتهم أو أنبيائهم لم يصل إلى الكمال. ويروى الكتاب المقدس في أمانة أخطاء هؤلاء جميعاً إلى جانب فضائلهم... أما المسيحية، فبلسان رسولها العظيم بولس تنادى منذرة كل إنسان، وتعلم كل إنسان بكل حكمة، لكي تحضر كل إنسان كاملا في المسيح يسوع (1كو1: 28).

الحياة المسيحية هي اقتداء بحياة المسيح... ومن كلمته وروحه الذي يعمل في أسرار الكنيسة المقدسة، يتدفق سيل لم يتوقف من القوة المقدسة على الأفراد

والأسرات والشعوب لنحو عشرين قرناً من الزمان... وسيظل الأمر على هذا النحو حتى يصبح الله الكل في الكل... فكم من أشرار بلغوا عمق الرذيلة، رفعتهم المسيحية إلى علو الفضيلة. وكم من قتلة ولصوص وزناة وأشرار، تبدلت حياتهم بقوة المسيحية ونعمتها، وصاروا قديسين... لقد استطاعت المسيحية بقوتها وفعالية نعمتها أن تحول الذئاب المفترسة إلى حملان وديعة.

والآن نعرض لبعض مظاهر قوة المسيحية الروحية:

المسيحية والفرد:

إن خطة المسيحية في الإصلاح تبدأ دائماً من الداخل. والثورة الروحية والأدبية والفكرية الكبيرة التي أحدثتها في العالم، كانت بدايتها في النفس البشرية. فهدف المسيحية الأول أن يتغير الفرد، وعن طريقه تقوم بعملها في تحويل الأسرة ثم المجتمع الكبير... لقد نظرت المسيحية إلى الفرد علي أنه نواة الأسرة ونواة المجتمع المحلي، بل ونواة العالم الكبير. ومن ثم اهتمت بحياته وتجديدها، وجعلت منه الرافعة التي رفعت بها العالم القديم إلى سمو الفضيلة(1)...

هكذا ظهرت فعالية المسيحية الروحية المجددة، أول ما ظهرت في حياة الأفراد. وقد ارتفع الرسل والمسيحيون الأوائل إلى درجة من القداسة والفضيلة، أعلى بكثير مما أحرزه أبطال الفضيلة في أية ديانة أخرى، بما في ذلك اليهودية. كانت حياتهم اليومية شركة حية مع المسيح. وقدموا بسيرتهم نماذج من فضائل لم تكن معروفة في كمالها قبل المسيحية، كالإتضاع ومحبة القريب، ومحبة الأعداء... لقد عاشوا حياة الكمال، وكانوا نوراً للعالم وملحاً للأرض. وكانوا أمناء في حفظ وصية سيدهم المبارك، وأظهروه نوراً للعالم، استضاء به كل الجالسين في ظلمات الخطية والجهل ... وقدموه بحياتهم صورة حية، فيما اصطلح العلماء على تسميته [الإنجيل غير المكتوب] (2)

المسيحية والمرأة:

لم يكن تأثير المسيحية قاصراً على الرجال، بل تعداه إلى النساء... لقد رفعت المسيحية المرأة من مرتبتها الذليلة التي كانت عليها في اليهودية والوثنية، إلي مكانة ممتازة ذات أهمية، فأضحت وارثة لنفس الخلاص مع الرجل (ابط3: 7؛ غل3: 28) وفتحت لها آفاقا لأنبل الفضائل... لم يكن للمرأة في العالم الوثني وضع وسط. فإما الحبس الكامل الذي ينطوي على الكسل والبلادة، وإما الانطلاق في حياة الجسد والخلاعة... لكن المسيحية رفعت من قدرها وجعلتها عونا للرجل(3).

وتمثل العذراء مريم أم مخلصنا نقطة التحول في تاريخ المرأة. فهي كأم للمسيح -آدم الثاني- تقابل حواء، وبالمفهوم الروحي أم كل حي، بحسب تعبير القديس إيريناوس... فيها وبها- وهي المباركة في النساء- بورك كل جنسها، وأزيلت عنه

---

(1) De Pressensé, Vol.1,p. 386
(2) Hill, p. 41;Schaff, Vol. 1, p. 441
(3) De Pressensé, Vol. 1, p. 388

اللعنة والعار... نرى فيها مثال الأنثى المسيحية في الطهارة والرقة والبساطة والتواضع والطاعة الكاملة والتسليم لله بلا تحفظ ...

وإلى جانب العذراء يقدم لنا الإنجيل مجموعة كبيرة من التلميذات والمحبات، التففن حول الرب وخلدت أسماؤهن... من بينهن مريم زوجة كلوبا، وسالومي أم يعقوب ويوحنا، ومريم ومرثا، ومريم المجدلية، والمرأة الخاطئة التي غسلت قدمي الرب بدموع توبتها، ومسحتهما بشعر رأسها... يضاف إليهن بعض النساء النبيلات خدمن ابن البشر بعواطفهن وأموالهن مدة حياته في الجسد التي عاشها في فقر على الأرض (4). واجتمعن أخيراً حول الصليب، وكن أول مَنْ ولجن قبره فجر القيامة (لو24: 1-10).

وفي الفترة بين القيامة وحلول الروح القدس، كانت اجتماعات الصلاة التي يعقدها الرسل في علية صهيون، تواظب عليها النساء والعذراء مريم (أع 1: 14)... بل إن هذه العلية التي أصبحت أول كنيسة مسيحية في العالم، كانت في بيت امرأة، وهي مريم أم يوحنا الملقب مرقس وهو كاروز بلادنا (أع 12: 12)... ومنذ البداية، سمح للمرأة - في حدود معينة - أن تشترك في خدمة الكنيسة " لأن الرجل ليس من دون المرأة، ولا المرأة من دون الرجل في الرب. لأنه كما أن المرأة هي من الرجل. هكذا الرجل أيضاً هو بالمرأة"(1كو11:11, 12)... وسنعود إلى معالجة هذا الموضوع.

<u>المسيحية والزوج والأسرة:</u>

من أجمل وأنبل الأشياء التي خلقتها المسيحية، الأسرة. فالمسيحية برفعها المرأة، لمكانتها وحريتها الحقيقية، غيرت وقدست حياة الأسرة كلها. فهي تحرم تعدد الزوجات، وتعتبر الزواج الواحد هو الوضع الإلهي السليم... إنها تدين نظام المحظيات بكل مظاهر عدم الطهارة والدنس، وتظهر الواجبات المشتركة للزوج والزوجة، وللآباء والأبناء في صورتها الحقيقية... فالزواج في المسيحية- كما علمت عنه- هو عمل إلهي، وليس نتيجة لتطور تدريجي في تاريخ البشر..." الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى... من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد، فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان " (مت 19: 4-6).

لقد رفعت المسيحية الزواج إلى مرتبة السر المقدس "يكون الاثنان جسداً واحداً"، والله - في سر الزواج - بروحه هو الذي يقوم بهذه المهمة... وقد أكد القديس بولس هذه الحقيقة، كما أوضح علاقة التعاطف بين الزوج وزوجته. وشبّه اتحاد الرجل بالمرأة في سر الزواج، باتحاد المسيح بكنيسته (أف 5: 28-33)... ولدينا عينة مباركة من العصر الرسولى، أكيلا وبريسكلا، اللذان عاونا القديس بولس في خدمته الكرازية (أع 18: 2،26).

---

(4) أنظر: مت 27 :55; مر 15 :41 , لو 8 :3

وقد بدأت علاقة الوالدين بأولادهم طوراً جديداً بواسطة المسيحية... فحل الحب المسيحي محل قسوة الأب الروماني. فالوالدون عليهم أن يحبوا أولادهم ولا يغيظوهم، وعلي الأولاد أن يطيعوا والديهم... لكنها علاقة غير قائمة على الخوف (أف5: 1-4).

والقديس بولس يظهر لنا المثال الحلو للأم المسيحية حينما يقول عنها إنها: " ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل"(1 تى 15:2)... إنه يرى في المرأة المسيحية، حوّاء التي تلد الذرية المباركة التي تسحق رأس الحية، والتي تنجب للعالم يوماً فيوماً خداماً لله، ينشرون عمل الخلاص ويتممونه. هؤلاء الأولاد تغذيهم الأم بالتعليم المسيحي... وهكذا تكون الأسرة المسيحية.

ويؤكد قدسية الزواج في المسيحية ووضعه الإلهي، عدم الطلاق... وكان الطلاق في العصر الرسولى أمراً شائعاً وشرعياً ومألوفاً، سواء بين الوثنيين أو اليهود ... والرب يسوع نفسه هو واضع أساس هذه العقيدة... فلا طلاق إلا لعلة الزنا...

<u>الزواج المختلط :</u>

وهو من المشاكل التي واجهتها الكنيسة منذ عصرها الرسولى... ويقصد به أن يكون أحد الزوجين مسيحياً والآخر غير مسيحي (وثنى أو يهودي)... كان من الطبيعي أن يظهر هذا الموضوع كمشكلة منذ فجر المسيحية... ففيما يعرض الإيمان المسيحي، كان يحدث أن تؤمن الزوجة بالمسيحية مثلاً، ولا يؤمن رجلها، وقد يحدث العكس. وتبعاً لذلك فكر الطرف المتنصر أن يتحلل من رباط الزوجية، ظناً منه أنه أصبح في وضع غير إلهي وغير مقدس...

لكن الكنيسة- بالنسبة لهذا الوضع الخاص(5)- صرحت باستمرار هذا الزواج المختلط القائم فعلاً، واعتبرته مقدساً... ومن ناحية أخرى لم تصرح بأن يبدأ أحد أعضائها المؤمنين علاقة زوجية جديدة بزواج مختلط .

أثيرت هذه المشكلة في كنيسة كورنثوس، وأرسل المؤمنون إلى القديس بولس، يطلبون رأيه... فكان جوابه بالنسبة للزواج القائم والسابق على الإيمان... "إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها. والمرأة التي لها رجل غير مؤمن، وهو يرتضي أن يسكن معها فلا تتركه. لأن الرجل غير المؤمن مقدس في المرأة، والمرأة غير المؤمنة مقدسة في الرجل. وإلا فأولادكم نجسون. أما الآن فهم مقدسون"(1 كو 7: 12-14). و كانت الكنيسة تهدف بهذا التصريح، إلى خير أولادها واستقرارهم... يضاف إلى ذلك أن الكنيسة كانت واثقة من أن الطرف المؤمن في مثل هذه الأسرة، قادر- بما له من إمكانيات روحية وأدبية- أن يجذب ويربح للمسيح الطرف الآخر غير المؤمن (6).

كان هذا استثناء بالنسبة لوضع خاص وقائم فعلا كما أوضحنا... أما بالنسبة لبدء علاقة زوجية جديدة بزواج مختلط ، فقد نهى عنه الرسول بولس في نفس

---

(5) هو وضع خاص فعلا لأن الزواج كان قائما قبل إيمان أحد الطرفين , وقد يكون الزوجان قد أنجبا نسلا.

(6) انظر (1 بط 3 : 1) ، وكيف أن الأزواج غير المؤمنين يربحون بسيرة زوجاتهم بدوم كلمةأو وعظ !!

الموضع، وقال: " المرأة مرتبطة بالناموس مادام رجلها حياً. ولكن إن مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد في الرب فقط " (1كو 7: 39)... وعبارة " في الرب فقط "، تعني أن يكون مسيحياً"(7)... هكذا فهم وعلم آباء الكنيسة ومعلميها منذ تاريخها المبكر... وهكذا سارت الكنيسة على هدى هذا التشريع منذ عصرها الرسولى(8).

المسيحية والتبتل :

منذ عصر الرسل، ظهرت رغبة ملحة لدى المسيحيين لحياة التبتل، وملكت عليهم شهوة عارمة لهذا اللون من الحياة... وقد أضرم هذه الشهوة المقدسة فيهم كلمات السيد المسيح عن التبتل، وسموهم الروحي الذي جعلهم فوق الجسد، وزهدهم في العالميات... لقد أظهر السيد المسيح سمو البتولية وقدسيتها، ورفعها إلى درجة العطية الروحية (مت 19:10-12)، وأوضح أنها تشبه بحياة الملائكة (مت 22: 30 ؛ لو20: 35).

أما القديس بولس فتحدث عن البتولية حديثاً فياضاً، بيّن فيه سموها وبركاتها، بل لقد روج لها وتمنى لو صار الجميع مثله بتوليين (1كو 7: 8، 32، 33، 38).

ونلاحظ أن كلام بولس الرسول عن البتولية كان إجابة على سؤال وجهته إليه كنيسة كورنثوس بخصوص البتولية والزواج (1كو 7: 1)... ومعنى ذلك، أن موضوع البتولية والزواج قد ظهر مبكراً في الكنيسة، منذ عصر الرسل... والموضوع لايرتبط بالرهبنة التي أخذت وضعها كنظام في النصف الثاني من القرن الثالث.

وموجة الحماس الشديد للسمو عن الجنس والجسد، لم تقتصر عل مَنْ لم يتزوجوا، بل تعدتهم إلى المتزوجين أيضاً، فامتنع البعض كلية عن المعاشرات الزوجية، وعاشوا مع بعضهم كإخوة وأخوات (9)، الأمر الذي دعا القديس بولس إلى التدخل، لينظم موضوع المعاشرات الزوجية بين المتزوجين (انظر1كو 7: 3- 7)... كما ظهر في تلك الفترة ما عُرف باسم "الزواج الروحي"، وهو أن يعيش رجل مع امرأة في بيت واحد، في أخوية روحية تقوية، بدون علاقة جنسية (10).

ويحاول البعض أن يقلل من قيمة كلام الرسول عن البتولية، فيقول إن كلام

---

(7) Tertullian: De Corona 8; Against marcion, 5.7 (A.N.F., Vol. 3, pp. 101. 443, 444)
To His Wife, 2.3, On Monogamy, 7 (A.N.F., Vol. 4, pp.45, 64).
Cyprian, The Treatises, 62 (A.N.F., Vol. 5, pp. 550,551)
Jerome: Letter to Pammachius, Against jovinianus, 1.10 (N.P.N.F, Vol. 6, pp. 69, 353)

(8) Encyclopaedia of Religion and Ethics, Vol. 8, p.441
وبذلك تخطى بعض الكنائس خطأ كبيرا – لا يعرف مداه – حين تعقد بمعرفتها زواجا مختلطا, فيه طرف مسيحي وآخر غير مسيحي

(9) قال بطرس للسيد المسيح " ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك "، فكان جواب الرب عليه " ليس أحد ترك بيوتاً أو أخوة ... أو امرأة (زوجة) " (مت 19: 29، مر10: 29، 30؛ لو 18: 29) ويتضح من رد السيد المسيح العالم بالخفايا، أن عملية الترك التي أشار إليها بطرس كانت تشمل الزوجات أيضاً، بمعنى الامتناع عن المعاشرات الزوجية، والمعيشة معهن كأخوات- يؤكد ذلك ما قاله بولس " ألعلنا ليس لنا سلطان أن نجول بأخت زوجة كباقي الرسل وإخوة الرب وصفا (بطرس) " (1 كو 9: 5)... ومن كلام بولس أن الزوجة صارت أختاً. انظر تاريخ "سوريا جـ 2 مجلد 3 ص 446 نقلاً عن كليمنضس السكندري وذهبي الفم
Jerome, Against Jovinianus, 1.26.

(10) Lietzmann, A History of the Early Church, p. 153, Carington,Vol. 1, P.136
وقد تدخلت الكنيسة ومنعت هذا النوع من الزواج لما نتج عنه من أخطاء وانحرافات

بولس في هذا المقام موجه للخدام، وبالذات الذين يشتغلون بالكرازة، على اعتبار إن هذا اللون من الحياة يناسبهم أكثر من الارتباط ببيت وزوجة وأولاد... لكن الرسول يتكلم كلاما عاما يوجهه لجميع المؤمنين، ويقول: "حسن للرجل أن لا يمس امرأة ". وهنا يتكلم عن أي رجل، وليس الخادم... والكلام كله يسير علي هذا النمط، وبنفس النغمة... (انظر ذهبي الفم في تفسيره للإصحاح السابع من الرسالة الأولى إلى كورنثوس N.P.N.F., Vol 12 p.105).

وقد شجع على الحماس للبتولية، حياة العذراء مريم وميلاد الرب يسوع منها وهي عذراء، وحياة يوحنا المعمدان، بل وحياة الرب يسوع نفسه (11)، كما شجعتها، تلك الحقيقة التي علمت بها المسيحية، أن المؤمنين هم أعضاء في جسد المسيح وهيكل للروح القدس (1كو 6: 15،19)... وشجع على حياة التبتل أيضاً ما كشفه القديس يوحنا في رؤياه عن مركز البتوليين في العالم العتيد، حينما ذكر المائة والأربعة وأربعين ألفاً ألمصاحبين للخروف على جبل صهيون ألسمائي، الذين يترنمون بترنيمة خاصة بهم، وقال عنهم: " هؤلاء هم الذين لم يتنجسوا مع النساء لأنهم أبكار..."(12) (رؤ14: 1- 5).

وقد أفاض آباء الكنيسة الأوائل في مدح البتولية وتمجيدها (13). وأظهرت الكنيسة تقديرها لها في معاملة المتبتلين وأماكن جلوسهم في الكنيسة. فرتبت أن يجلسوا في الصفوف الأولى قبل بقية المؤمنين (14)... ومما يوضح شرف التبتل والعفة في كنيسة الرسل، أن المتزوج ثانية كان لا يتمتع بشرف الكهنوت... هكذا اشترط القديس بولس في الأسقف والشماس أن يكون كل منهما بعل امرأة واحدة (15)... وحينما يقول: " بعل امرأة واحدة"، لا يقصد تعدد الزوجات، فهذا الأمر لا وجود له في المسيحية، لكنه يقصد ألا يكون قد ارتبط بأكثر من زيجة واحدة... وحتى الأرملة، التي لها وضع خاص وتخدم في الكنيسة، لا تحتسبها الكنيسة في صفوف الأرامل إلا إذا كانت قد ترملت بعد زيجة واحدة (1 تى 5: 9).

المسيحية والمجتمع:

المسيحية تعلم وتنادى بالمحبة... وإن كان أساس المحبة في الفرد والأسرة لكنها لا تقف عند هذه الحدود. إنها تشمل كل البشر وتضمهم بين ذراعي حنوها... فبينما أقامت الروح القومية قديماً، حواجز ضخمة بين الشعوب المختلفة (يهود وأمم، ورومان ويونان وبرابرة) حتى كانوا كالغرباء بالنسبة لبعضهم البعض، إذ بالمسيحية تزيل هذه الحواجز جميعا، ونعلم أن الله " صنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون عل كل وجه الأرض، (أع 26:17)...

---

(11) Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 1 p.323.

(12) أبكار وليس أطهار كما في الترجمة البيروتية المتداولة... هكذا في كل الترجمات القديمة وحتى الحديثة أيضاً .

(13) نذكر من الآباء الرسوليين والمعلمين الأوائل هرماس وأغناطيوس الشهيد ويوستيتوس الشهيد واثيناغوراس وأوريجينوس.

(14) Constitutions of the Holy Apostles, 2.7, 4.14, 8.24, Dictionary of Christian Antiquities Vol. 2, p. 2019 .

(15) 1تى 3 :2 , 12؛ تى 1 : 6 .

وبتمجيد فكرة الإنسانية ووضعها فوق القومية، غيّرت المسيحية بالتدريج وجه العالم القديم، وطعمت فكرة الوطنية الجامدة بمشاعر أنبل وأفكار أرحب (16).

لقد تغلغلت المسيحية في حياة الناس المدنية والاجتماعية بفضيلتها وأدبياتها وقادتهم في الطريق نحو التمدين الحقيقي... هي لا تقدم شكلاً معينا للحكم، بل إنها تمتنع عن كل التدخلات الخاطئة في الشئون السياسية الدنيوية... هي تستطيع إن تحيا في ظل أي نظام من أنظمة الحكم، ويمكنها أن تنتعش تحت ضغط واضطهاد الحكومات، على نحو ما تُظهر الفترة المبكرة من تاريخها... لكنها تعلن واجبات الحكام والرعية، وتشجع على إبطال القوانين والأنظمة غير الصالحة، وإحلال ما هو صالح بدلها... وهي لا تقر الحكم الاستبدادي والفوضوي، وتميل - تحت كل وضع من أوضاع الحكم- نحو النظام واللياقة والعدل والإنسانية والسلام.

والإنجيل يصلح العلاقات الدولية، ويهدم فواصل البغضه والكراهية بين مختلف الأمم والأجناس... إن روح المسيحية روح مسكونية جامعة، تسمو علي كل النعرات الإقليمية، على نحو ما كان المسيحيون جميعاً في كنيسة أورشليم " قلبا واحداً ونفساً واحدة، (أع4: 32)... لقد وقع لها بعض الاضطرابات العرضية والاصطدامات الوقتية، كما حدث بين بولس وبطرس، وبين المتنصرين من اليهود والأمم، لكن لا تأخذنا الدهشة، بل نعجب على الغلبة المتواصلة لروح الانسجام والمحبة على الطبيعة القديمة المتبقية... فلقد أرسل مسيحيو كنائس بولس الأمميون الفقراء في اليونان ومقدونية إحساناتهم لليهود المتنصرين في أورشليم. وهكذا برهنوا على عرفانهم للإنجيل وشركته التي اقتبلوها من الكنيسة الأم بأورشليم (17).

<u>المسيحية والرق:</u>

سبق أن أشرنا إلى الرق في العالم الوثني، وما وصل إليه العبيد من مذلة واحتقار وسوء معاملة... هذا في الوثنية، أما اليهودية فقد أظهرت معاملة أفضل للعبيد، فأوصت بعدم إساءة معاملتهم، وأمرت بعتق جميع العبيد اليهود في سنة اليوبيل، التي تقع كل خمسين سنة (لاويين 25: 39-46).

جاءت المسيحية ولم تصدر تشريعاً عاماً وصريحاً ضد نظام الرق، بل علي العكس تقابلنا بعض نصوص في رسائل الرسل تدعو العبيد إلى الطاعة الكاملة لسادتهم حسب الجسد، وتقديم الإكرام والخضوع اللائقين بهم (18)... وهذا ما دعا بعض أعداء المسيحية إلى أن يأخذوا عليها هذا الموقف، إنها لم تطالب بإلغاء الرق، بل شجعت عليه.

والواقع أن الإنجيل- بروحه العام أكثر من أي نص خاص- قاوم روح التعسف

([16]) De Pressensé, Vol. 1, p. 393
([17]) Schaff, Vol. 1, pp. 445.449

([18]) انظر: كو3: 22؛ 1 تى 6: 1، 1 بط 2:18.

المستمر والتحقير الأدبي نحو فئة الأرقاء... وهو لم يوص في أي موضع منه بالعنف الخارجي أو المقاييس الثورية، لأن ذلك- فضلاً عن كونه يتعارض مع طبيعة المسيحية ورسالتها- فإنه كان عديم الجدوى، بل ضار في تلك الأزمنة... وعوضاً عن ذلك، عالج المشكلة علاجا جذرياً داخلياً، هادفاً بالدرجة الأولى إلى تلطيف حدة الشر ونزع شوكته، وأخيراً أبطاله كلية (19).

فالمسيحية تهدف قبل كل شيء إلى تحرير الإنسان- دون نظر إلى رتبة أو وضع إجتماعي- من أشر أنواع العبودية، ألا وهي عبودية الخطية، وتهبه حرية روحية حقيقية، وتؤكد الوحدة الأولى لكافة البشر المخلوقين على صورة الله، وتعلم بالفداء العام، والمساواة الروحية للجميع قدام الله " ليس عبد ولا حر.. لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع "(غل 38:3)...

لقد تصرفت المسيحية إزاء مشكلة العبيد، بنفس طريقة الحل الموضوعي المنهجي، الذي عالجت به كثيراً من مشكلات الحياة. إنها تهتم أولاً ودائماً بالعلاج الجذري... تهتم بعلاج أساس المشكلة، لأن في هذا حسم للمشكلة واستئصال لها من جذورها. ومن ناحية أخرى تهتم أن يكون علاجها سلمياً بما يتفق وطبيعة رسالتها... فنحن نرى أنها اهتمت بعلاج المشكلات الروحية جذرياً فعالجت القتل بالنهى عن مجرد الغضب " كل مَنْ يغضب على أخيه باطلاً فهو قاتل نفس " (1يو 3: 15). وعالجت شهوة الجسد وأنواع الزنا، بالنهى عن مجرد النظرة المصحوبة بشهوة جسدية (مت 5: 28)... وهذا يتفق مع منهجها، الذي يقضى بعدم وضع رقعة جديدة على ثوب عتيق، أو خمراً جديدة في زقاق عتيقة... لأنه ماذا يحدث لو لم يراع هذا المنهج؟ الجواب بفم رب المجد... " يصير الخرق أردأ... والخمر تنصب والزقاق تتلف " (مت 9: 16، 17).

هذا هو ما علمته المسيحية إزاء مشكلة الرق والعبيد... لقد نادت بالإصلاح الأدبي، دون أن تدخل في صراع مع الدولة وتشريعها الخاص بالعبيد- لم يكن من رسالتها الروحية، ومبادئها التي حددتها لنفسها، أن تعلن أو تطلب- من الوجهة القانونية- إنهاء نظام الرق. لو فعلت ذلك لجعلت من نفسها قوة سياسية، وتدخل في صراع مسلح، وتعرّض ما يؤخذ بالسيف إلى أن يفقد بالسيف... ما كان أسهل على المسيحية، أن تصدر شعارات براقة تخص العبيد وتحريرهم (20)، حتى ما تكسبهم إلى صفوفها، لكنها لم تفعل شيئاً من ذلك. كان ذلك معناه قيام العبيد بثورات عارمة، لم تكن جديدة عليهم، فقد قاموا بعدة ثورات قبل ذلك وسحقتها قوات الدولة وانتهت إلى لا شيء. كانت إيطاليا في ذلك الوقت قد سحقت لتوها إحدى ثورات العبيد بكل صعوبة، وكانت يقظة لأية محاولة أخرى(21). إن تحريك مثل هذه الثورات كان لا يؤدى إلى

---

(19) **Schaff, Vol. p. 455.**

(20) كان عدد العبيد في حكم الإمبراطور كلوديوس (حوالي منتصف القرن الأول الميلادي) ، يوازي نصف سكان الإمبراطورية الرومانية كلها، أي حوالي ستين مليوناً حسب تقدير المؤرخ جيبون **Gibbon** .

(21) **Hill, pp. 235- 237.**

التقدم خطوة واحدة نحو الحرية... بل في هذه الحالة، كان أمام المسيحية طريقان: إما أن تزول، وإما أن تتوقف عن أن تكون ديانة الروح...

ومن ناحية أخرى، فإن العبد الذي حطم قيود عبوديته المادية، ونال الحرية قبل أن يتحرر داخلياً (روحياً) لا يكون قد تحرر حقاً... فقد يبقى على كل رذائل العبودية، ويستخدم حريته المكتسبة وقوته، استخداما استباديا خاطئاً.. وفي هذه الحالة كانت العبودية ستظل باقية بكل فظاعتها، مع تغير واحد، هو أن المضطهدين سيتحولون إلى مُضطِهدين ...

كان من الأهمية بمكان إذن، أن تحرص الكنيسة على عدم إحداث هزة في المجتمع يتعرض معها الجميع، وتتعرض رسالتها إلى خطر محقق... لم تبطل الكنيسة الرق بنص صريح، لكن من الإنصاف القول إنها قوضت هذا النظام بما أحدثته من تغييرات جوهرية في حياة الإنسان. والنتيجة، أنه حينما يفيق ذلك المخلوق البائس - الذي كان يعامل كآلة صماء أو كجسد بلا نفس - لكرامته الأدبية، وحقوقه وواجباته، تبطل الحجة لإبقائه في العبودية. والمسيحية وقد ظهرت أولاً حامية للعبد في ضعفه، كانت تميل دائماً إلى تحريره الكامل (22).

<u>جهود الكنيسة لإبطال الرق:</u>

1- كان أول ما ينبغي عمله هو إصلاح حالة العبيد بتبني قضيتهم وحمايتهم من سوء معاملة سادتهم... كان السادة غير المؤمنين خارجين عن سلطان الكنيسة، أما المؤمنون فكانت توصيهم باللطف وطول الأناة والعدل، وتناشدهم أن يعاملوا عبيدهم معاملة حسنة " وأنتم أيها السادة، افعلوا لهم (العبيد) هذه الأمور، تاركين التهديد، عالمين أن سيدكم أنتم أيضاً في السموات، وليس عنده محاباة " (أف 6: 9).

لقد أعاد القديس بولس ثانية، العبد اللاجئ إليه- إنسيموس- إلي مولاه الأرضي فليمون، بعد أن جذبه إلي معرفة المسيح. لكنه أوصى فليمون إن يقبل العبد ويعامله فيما بعد كأخ محبوب في المسيح، بل كأحشاء الرسول (فل 12، 16)... من المستحيل أن نتصور إمكان وجود علاج أفضل من ذلك. ومن المستحيل أن نجد في الأدب القديم، ما يوازي رسالة بولس الرسول القصيرة إلي فليمون، والمملوءة لطفاً ورقة وإنسانية، فضلاً عن المشاركة الرقيقة لعبد مسكين (23).

2- كانت المعاملة القاسية التي يلقاها العبد من سيده المؤمن، سبباً كافياً لطرد ذلك السيد من جماعة المؤمنين. كما كانت الكنيسة تسقط لقب مسيحي عمَنْ يسيئون معاملة تابعيهم وخدمهم (24).

3- ولم يكن مجرد إعطاء الحماية والمعاملة الحسنة للعبيد كافياً، بل كان على

---

(22) De Pressensé, Vol. 1, pp. 430-433

(23) Schaff, Vol. 1, p. 446

أمرت قوانين الرسل بأن يمنح العبيد راحة من العمل في بعض المواسم والتذكارات الدينية، وقد حددتها كالآتي: السبت والأحد أسبوعياً، وأسبوع البصخة، والأسبوع التالي لتذكار القيامة، وفي تذكارات الميلاد والغطاس والصعود وحلول الروح القدس وتذكارات استشهاد بعض الشهداء وفي مقدمتهم إستفانوس. أنظر: Constitutions of Holy Apostles, 8. 33

(24) Constitution of the Holy Apostles, 4. 6

السادة أن يسموا بهم أدبياً، فيعلمونهم الحق، ويقودونهم إلي النور...

وكان على السيد المسيحي أن يكون مستعداً أن يضع نفسه ليكون معلم عبده طواعية، تحركه غيرته نحو أخيه العبد إلي ذلك الواجب ... وكان السادة يتممون هذا الواجب المقدس الصعب عن حب. هذا الأمر دعا الفيلسوف الوثني كلسوس لأن يسخر من المسيحية لعنايتها بالعبيد. فرد عليه أوريجينوس موضحاً إن المسيحية آثرت الاتجاه إلى منبوذى العالم القديم ، مبتدئة بالعبيد، الذين لم يفكر فيهم أحد. وقال له:[نحن نشعر أننا مدينون للعقلاء والجهلاء.. نحن لا نرفض أحداً، ولا حتى العبد العادي. فنحن نميل نحوه كما إلى طفل أو امرأة جاهلة، آملين أن نجعله في وضع أفضل] (25).

4- ما أن يقبل العبيد والإماء الإيمان المسيحي، حتى كانوا يحصلون علي عضوية الكنيسة كاملة، ويرفعون فيها إلى مستوى الأحرار. كانوا يعتبرون إخوة وأخوات للمؤمنين بكل ما في هذه الكلمة من معنى. وقد أشار بولس في رسالته إلى كولوسى إلى "أبفراس العبد الحبيب معنا، الذي هو خادم أمين للمسيح" (كو1: 7)... ليس في الكنيسة أي أثر للفوارق الاجتماعية بين المسيحيين في أوقات العبادة. والفاصل الوحيد كان هو الذي يفصل الموعوظ عن المؤمن، والجنسين عن بعضهما (26)... بل ربما كان العبد في حالة أفضل روحيا، حينما يكون هو مؤمناً وسيده مازال موعوظاً... والعبد الذي يسجد جنباً إلى جنب مع سيده في عبادة نفس الإله، لا يمكن أن يستمر فيه الإحساس بعدم الكرامة، أو مركب النقص الذي يرتبط بوضعه الاجتماعي. وقد أوجبت قوانين الرسل على السيد أن يحب عبده كابن أو كأخ بسبب إيمانهم الواحد (27).

5- كان في إمكان العبد أن يقبل أية وظيفة كنسية، حتى الأسقفية، إذا دعى إلى ذلك (28)... ولدينا مثل على ذلك، كلستوس Callistus الذي كان عبداً مسيحياً لسيد مسيحي، ووصل إلى منصب أسقف روما (217- 222) وذكر في قوانين الرسل أن أنسيموس الذي كان عبداً لفليمون رسم أسقفاً على بيرية (29).

6- وبفضل جهود الكنيسة في التعليم ورعايتها الروحية، أخذ كثير من السادة المسيحيين يعتقون عبيدهم المسيحيين... وكثيراً ما كان يتم عتق العبيد وتحريرهم في الكنيسة، في أيام الأعياد الكبيرة، وعلي الأخص عيد القيامة، تذكاراً لعمل المسيح الفادي الذي حررنا من أسر إبليس... وكان ينظر إلى هذا العمل كعمل من أعمال الرحمة المقبولة لدى الله(30).

7- ونظراً لأن الحياة الدينية للعبيد المسيحيين الذين يعملون مع سادة غير مسيحيين كانت في خطر، فالكنيسة في بعض الأحيان، كانت تشجع السادة الوثنيين

---

(25) Origen, C. Celsum, 3. 49.
(26) Constitution of the Holy Apostles, 2. 58, De Pressensé, Vol. 1, pp. 434-436.
(27) Constitution of the Holy Apostles, 4.12.
(28) Ibid, 7. 46.
(29) Ibid, 7. 46
(30) LaTourette, pp. 261-263

على تحرير عبيدهم المسيحيين مقابل فدية مالية تدفعها الكنيسة (*).

8- من الناحية الأدبية، كانت شخصيات العبيد تتمتع بكل احترام الأحرار داخل الكنيسة. كان يجب احترام الإماء، ولا يعتدي عليهن بسبب ضعفهن.. وكانت الكنيسة تحمى الروابط الزوجية للعبيد، وتنتظر منهم فضائل كما من الأحرار. وكنتيجة لذلك حازت فضائلهم نفس التقدير والاحترام وقد صار منهم شهداء وشهيدات (31).

9- أما من جهة العبيد أنفسهم، فقد اهتمت الكنيسة بحياتهم ونفسياتهم وروحياتهم وكانت تقوم بتعليمهم وتلقينهم الإيمان (32).

وإن كانت المسيحية لم تستطع- بقرار أو نداء أو تعليم- أن تحرر العبيد كلهم دفعة واحدة، لكنها كانت أولى الأنظمة التي جعلت من طاعة العبيد التي بلا سند، واجبا أدبياً يؤدى بفرح، بعد أن كانت الأنظمة القديمة تحرص على طاعة العبيد عن طريق الإرهاب والتخويف (33)... وهكذا أوصى القديس بولس العبيد بالصبر، وأن يبقوا في حالتهم، ويعزوا أنفسهم بالفكرة أنهم عتقاء الرب... "الدعوة التي دعى فيها كل واحد فليلبث فيها. دعيت وأنت عبد فلا يهمك. بل وإن استطعت أن تصير حراً فاستعملها بالحرى. لأن مَنْ دعى في الرب وهو عبد فهو عتيق الرب. كذلك أيضاً الحر المدعو هو عبد للمسيح" (1 كو 7: 20-22).

ومن ناحية أخرى عاونت المسيحية في تخفيف العار الذي كان مرتبطاً بالعمل كما كانت نظرة المجتمع القديم - لقد أكدت المسيحية وجوب العمل (34) وطالما كان العمل مرتبطاً بالعبودية، فقد استراح العبيد من الخزي الذي لحقهم ولصق بهم (35).

وقد لاحظ العالم دى روسي De Rossi، الذي كرس جهوده لدراسة سراديب روما والمقابر المسيحية الأولى أن لقب "عبد" لم يشاهده إطلاقاً في الكتابات على المقابر المسيحية (36).

المواهب الروحية :

منحت كنيسة الرسل منذ تأسيسها في يوم الخمسين، كل المواهب الروحية (37) التي تحتاجها- لا لتبهر الناس بها، بل لأجل نشر الإيمان الجديد، وتجديد العالم روحياً وأدبياً... ولقد كانت هذه المواهب بمثابة ثياب عرسها الذي تزينت به، وعدتها التي صمدت بها إزاء مقاومات اليهود والوثنيين وتعرف هذه المواهب الروحية في اليونانية باسم charismata أو مواهب النعمة، تمييزاً لها عن المواهب الفطرية الطبيعية...

(*) Constitution of the Holy Apostles, 4.9

(31) من أمثلة ذلك: بلاندينا من شهداء ليون، وفيليسيتاس رفيقة بربيتوا في قرطاجنة، وبروفيري عبد بامفيلوس البيروتي- انظر كتاب الاستشهاد في المسيحية، Harnack, Mission .., pp. 168, 169.

(32) Aristides, Apol., 15

(33) انظر: كو 3: 22؛1 تي 6: 1، 1 بط 2: 18، وأيضاً:. Karl Kautsky ; Foundations of Christianity , p. 350

(34) انظر: أع 18: 1- 3، أف 4: 28، 2 تس 3: 7- 10.

(35) Latourette, pp. 261-263.

(36) Harnack, Mission ..., p. 168.

(37) St. John Chrysostom, Homily 29 on 1 Cor. 12, De pressensé, Vol. 1, pp. 339-344, . Schaff, Vol. 1, pp, 436-440

وهذه المواهب الروحية طاقات وظواهر للروح القدس "أنواع مواهب واحدة، ولكن الروح واحد" (1كو 12: 4)... أما تنوع المواهب، فلكي تفي بحاجات الكنيسة المتنوعة "ولكنه لكل واحد يعطى إظهار الروح للمنفعة" (1كو 12: 7)... وهي فائقة للطبيعة من جهة مصدرها، لكنها تتمشى مع الفضائل الطبيعية... وفي عملها تتبع قدرات الإنسان العقلية والأدبية، وتسمو بها وتنشطها، وتقدسها لخدمة المسيح.

وهذه المواهب غيرية، أي أنها توهب لأجل خدمة الآخرين... هكذا دعاها القديس بولس في (1كو 12: 4-7) "خدم، أعمال، منفعة"... "أنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد. وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد. الذي يعمل الكل في الكل. ولكنه لكل واحد يعطى إظهار الروح للمنفعة"... وهكذا ينبغي ألا يسعى الإنسان وراء هذه المواهب من أجل ذاتها، أو لأجل الاستئثار بها لفائدته الشخصية "ليس أنى أطلب العطية، بل أطلب الثمر المتكاثر لحسابكم" (في 4:17).

على أن تمتع البعض بأنواع من المواهب لا يعنى بالضرورة أن هؤلاء الناس قد يحيون في قداسة السيرة، أو أنهم ذوو حظوة لدى الله (38)... فقد كشف لنا الرب يسوع عن هذه العينة من الناس، وقال إن كثيرين سيأتون إليه في اليوم الأخير ويقولون له: "باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة" ... ومع ذلك يقول لهم الرب: "إني لا أعرفكم قط، اذهبوا عنى يا فاعلي الإثم" (مت 7: 22، 23).

علي أنه يجب الإشارة إلى الخطر الذي كان يكمن في هذه المواهب الروحية... إذ بدأ الشيطان يحارب البعض بتقليدها وادعائها، إما بقصد الاحتيال أو الكسب المادي، حتى في ذلك الوقت المبكر جداً من تاريخ الكنيسة... وقد حذر كتاب تعاليم الرسل Didache الكنائس من أمثال هؤلاء الأشخاص المحتالين (39).

ويمكن <u>تقسيم المواهب الروحية</u> بصفة عامة إلى ثلاثة أنواع:

أولاً - مواهب عقلية تختص بالعلم، وهي نظرية وتختص باللاهوت والعقيدة.

ثانياً- مواهب تتمشى مع العاطفة وتختص بالشعور، وتظهر في العبادة المقدسة من أجل بنيان حياة الأفراد والكنيسة.

ثالثاً- مواهب عملية تختص بالإدارة، وبقصد إدارة الكنيسة وتنظيمها وحكمها.

وهذه المواهب غير منفصلة عن بعضها انفصالا متميزاً تماماً، لكنها تعمل معاً في توافق من أجل الهدف الواحد، ألا وهو بنيان جسد المسيح الذي هو الكنيسة.

---

(38) See: St. Chrysostom, Homily 24 on St. Mathew (N.P.N.F., Vol. 10, p. 167),
St. Augustine, Sermon on the Mount, ch. 25 (N.P.N.F., Vol. 6, p. 62),
St. Augustine, Homilies on the Gospels ,Sermon 87, 88, 92, (N.P.N.F.,Vol. 6 , pp. 520, 523, 535).

(39) يقول العلامة أوريجينوس في المقالة 27: 11 على سفر العدد [يمكن أن تكون الرؤى سبباً للوقوع في تجارب، لأن الشيطان في بعض الأحيان يغير شكله إلى شبه ملاك نور. ومن هنا يجب أن تحترسوا حتى ما تميزوا نوع الرؤيا، على نحو ما فعل يشوع بن نون إذ لما رأى الرؤيا أحس أنه تكمن فيها تجربة، فسأل المنظر الذي رآه، هل أنت معنا، أم مع أعدائنا]. أنظر :
Haranck, Missions .... , pp. 201-203 .

وموضوع المواهب الروحية، يكتنفه الغموض، كما يقول القديس يوحنا الذهبي فمه، نظراً لقلة معلوماتنا عنها، إلاَّ من الإشارات العابرة في رسائل القديس بولس، ولتوقف وجودها في الكنيسة بالصورة التي كانت عليها في كنيسة الرسل. لكننا نحاول أن نلقى عليها بعض الضوء...

(أ) موهبة الحكمة والعلم:

ويقصد بالحكمة الذي يفسر بعمق وحكمة أسرار مقاصد الله، ووسائل خلاص الإنسان، بينما يقصد بالعلم تفسير كلام الحكمة للمؤمنين ليعرفوا طريق الخلاص... "لواحد يعطى بالروح كلام حكمة... ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد" (1 كو 8:14) .

(ب) موهبة التعليم:

وتختص بالاستخدام العملي لموهبة العلم، وتعطى صاحبها قوة لشرح الأسفار المقدسة بوضوح لتعليم وتثقيفا وبنيان المؤمنين... "ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا. أنبوة فبالنسبة إلى الإيمان. أم خدمة ففي الخدمة. أم المعلم ففي التعليم" (رو 12: 6،7).

(جـ) موهبة النبوة:

وتتصل بالموهبتين السابقتين... وهي عادة تستخدم لغة الإلهامات العالية، دون العرض والدليل المنطقي... وتنحصر رسالتها في التنبؤ بحوادث المستقبل (أع 11: 28)، وكشف مقاصد الله الخفية، ومعاني الأسفار المقدسة العميقة، وخفايا القلوب (1كو 14: 25)، وأعماق الشر، وأمجاد النعمة المخلصة. وأحيانا كانت ترشد لتعيين البعض للخدمة في الكنيسة (أع 13: 1، 2 ، 1تى 4: 14)... وبينما موهبة التعليم تناسبها حالات الهدوء والنمو الطبيعي للكنيسة، فإن موهبة النبوة تنشط في البدايات، وأوقات الشدائد.

(د) موهبة تمييز الأرواح:

وكان لابد من وجود هذه الموهبة كضابط ومرشد لموهبة النبوة، للتمييز بين الأنبياء الحقيقيين والأنبياء الكذبة، بين الإلهام الحقيقي والانفعال البشرى أو الشيطاني... وبعبارة عامة، كانت هذه الموهبة للتمييز والتفريق بين ما هو صواب وما هو خطأ... " أما الأنبياء، فليتكلم اثنان أو ثلاثة، وليحكم الآخرون (1كو 14: 29).

(هـ) التكلم بألسنة [40]:

وموضوع التكلم بألسنة من أعقد الأمور المتصلة بالكنيسة الأولى، وأكثرها صعوبة وغموضاً... اختلف علماء الكنيسة وآباؤها بخصوصه، ولم يعطوا رأياً محدداً واضحاً بشأنه، نظراً لأن هذه الظاهرة انتهت تقريباً بانتهاء عصر الرسل، وكان لا وجود لها في زمانهم.

ظهرت موهبة الألسن مع مولد كنيسة العهد الجديد يوم الخمسين (أع 2 : 1-13)... وبعدها نقرأ عنها مرتين في سفر أعمال الرسل (أع 10: 46؛19: 6). أما في

---

[40] **See: Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 3, pp. 1555-59, Hastings, Dictionary of the Bible, pp. 943, 44, Schaff, Vol. 1. pp. 230-241**

الرسائل فلم يتناولها سوى بولس في رسالته الأولى إلى كورنثوس (1 كو 12-14) (41).

والواقع أن موهبة التكلم بألسنة، وإن كانت تذكر صراحة وبهذه التسمية في المواضع التي أشرنا إليها ، لكنها تختلف عن بعضها في الجوهر، ولا تعبر عن ظاهرة واحدة... فمعجزة يوم الخمسين كانت معجزة تمتاز بطابعها الخاص وهدفها الخاص (42)... تكلم التلاميذ بفضلها بلغات مختلفة من أجل حاجة سامعيهم بقصد تبشيرهم... أما التكلم بالألسن المذكور في رسالة كورنثوس فهو عمل تعبدي خالص يختص بالصلاة، ولا علاقة له بالتكلم بلغات جديدة بقصد الكرازة والتبشير.

*** فيما يختص بما حدث يوم الخمسين، هناك رأيان: رأى يقول إن الرسل تكلموا بلغات جديدة لم يكونوا يعرفونها. إتماماً لوعد السيد المسيح "ويتكلمون بألسنة جديدة" (مر 16: 17)، وهذا هو رأى غالبية آباء الكنيسة وعلمائها.. ورأى آخر يقول لم يتكلم الرسل بلغات جديدة، بل تكلموا الآرامية الخاصة بهم، بينما سامعوهم كانوا يسمعونهم يتكلمون بلغاتهم... وكأن الروح القدس في تلك الحالة كان يقوم بدور المترجم، وكان يترجم فورياً لكل لغات الحاضرين.. ومن بين أصحاب هذا الرأي القديس غريغوريوس أسقف نيصص...**

وفي رأينا أن الرأيين على صواب... فالرسل تكلموا فعلا لغات جديدة لم يكونوا يعرفونها، ما في ذلك شك (أع 2: 4، 6، 8، 11)، بل تفاهموا مع سامعيهم بلغاتهم (أع 2: 37). وهذا واضح مما ذكره لوقا في (أع2)، ومما ذكره السيد المسيح صراحة في (مر 16: 17)... ومن ناحية أخرى، حينما ألقى بطرس عظته (وطبعاً ألقاها بلغة واحدة أياً كانت)، فهمها الجميع، وبناء عن ذلك تساءلوا "ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة"... وهذا لا يتأتى إلا إذا كان الروح القدس - أثناء إلقاء بطرس للعظة- قد قام فعلاً بترجمة فورية لكل لغات الحاضرين... وعلي ذلك نستطيع القول إن الرسل تكلموا في يوم الخمسين بلغات جديدة لم يكونوا يعرفونها، وأن الروح القدس في بعض المواقف كان يقوم بدور المترجم... ولا غرابة في ذلك، فالترجمة موهبة من مواهب الروح القدس التي تكلم عنها الرسول بولس (1كو 12:4،8،10).

ومهما يكن من أمر، فآباء الكنيسة وعلماؤها رأوا أن الله أعطى الرسل موهبة التكلم بلغات أخرى جديدة من أجل حاجة أعمال الكرازة، خاصة في ذلك الدور الأول التأسيسي للكنيسة... البعض رأى- ومنهم القديس يوحنا الذهبي فمه (43)- أن كل تلميذ وهبت له اللغة الخاصة بالحقل الكرازى الذي عُين له. والبعض رأى- ومنهم القديس

---

(41) قيل أن ما دونه الرسول في (رو 8: 15، 26؛ غل 4: 6؛ أف 5: 19) إنما هو إشارات عنها أيضاً.

(42) يرى البعض- وهذا الرأي له مؤيدوه ومعارضوه- أن معجزة التكلم بلغات جديدة كانت قاصرة على يوم الخمسين وحده، وأن هذه المعجزة لم تتبع الرسل أينما اتجهوا. ويدللون عل ذلك - استنتاجا- من أن بولس الرسول لم يفهم اللغة الليكاؤنية التي تكلم بها أهل لسترة (أع 14: 8-14). وإن بطرس الرسول- بناء على رواية بابياس وابريناوس- كان يترجم له مرقس في روما (يوسابيوس 3، 15،29). ونحن لا نستطيع أن نقطع برأي في هذه القصة.

(43) **Homily 4 on the Acts of the Apostles**

أغسطينوس (44)- أن كلا من الرسل تكلم لغات جميع الشعوب ليظهر بذلك أن الكنيسة الجامعة ستضم كل الشعوب.

أما عن عدد اللغات التي تكلموا بها، في ذلك اليوم التاريخي (يوم الخمسين) فقد اختلف الآباء أيضاً فيه... فمَنْ قائل إنهم تكلموا بلغات الشعوب التي ذكرها لوقا في (أع 2: 9- 11). ومنهم مَنْ قال إنهم تكلموا 70 لغة أو72 أو 75 على عدد أبناء نوح أو يعقوب (تك 10: 46). بينما رأى آخرون أنهم تكلموا 120 لغة على عدد التلاميذ الذين حل عليهم الروح القدس في ذلك اليوم (أع 1: 15)... وعلي أية الحالات، فقد كان التكلم بألسنة في يوم الخمسين آية للكرازة ولتمجيد الله بلغات متنوعة لم تكن معروفة للتلاميذ، وشهادة لجميع الشعوب أن الله كان حقاً في وسطهم.

* أما عن موهبة التكلم بالسنة التي عالجها القديس بولس في رسالته إلى كنيسة كورنثوس، فتظهر أنها كانت عملاً من أعمال التعبد والصلاة... ويمكن القول إنها كانت نوعاً من الصلاة والتسبيح والتمجيد والشكر لله، ينطق بها الإنسان في حالة نشوة روحية لا إراديا، وفى لغة يعطيها الروح القدس، غير اللغة التي يتكلمها ذلك الإنسان.. وفي هذه الحالة تكون روح الإنسان في سلبية، مستسلمة للروح القدس، بينما يكون الذهن غير واع لما ينطق به الإنسان. وهذا واضح من كلام الرسول بولس، فهو يدعوها صلاة "إن كنت أصلي بلسان، فروحي تصلى، وأما ذهني فهو بلا ثمر" (1كو 14: 14). ويقول أيضاً: "من يتكلم بلسان، لا يكلم الناس بل الله، لأن ليس أحد يسمع ولكنه بالروح يتكلم بأسرار" (1 كو 14: 2)...

وهكذا نرى أن التكلم بالسنة في كنيسة كورنثوس، لم يكن في صورة تعليم أو نبوة، بل كان نوعاً من التعبد الروحي الشخصي... ومن هنا نفهم لماذا يربط بولس بين التكلم بألسنة، وبين التكلم بألسنة الناس والملائكة (انظر1 كو 12: 30؛13:1)... إن ألسنة الملائكة تنطق دائماً بالتسبيح للجالس على العرش...

ويؤيد هذا المفهوم، ما حدث أيضاً يوم الخمسين... لقد تكلم الرسل "بألسنة أخرى" قبل عظة بطرس، وقبل أن يجتمع إليهم الشعب (أع 2: 4، 6، 8)... أما موضوع كلامهم بهذه الألسنة الأخرى، قبل عظة بطرس، فكان "الكلام بعظائم الله" (أع 2: 11)... ونفس هذا الأمر حدث في بيت كرنيليوس بعد حلول الروح القدس على المجتمعين فيه، فقد سمعوا "يتكلمون بالسنة، ويعظمون الله" (أع 10: 46)... وتعظيم الله هو عينه عمل التسبيح والتمجيد والشكر...

* ومن حيث أن التكلم بألسنة الذي أشار إليه بولس في كورنثوس هو عمل تعبدي خالص، فإنه يبنى المتكلم وحده دون الآخرين "مَنْ يتكلم بلسان يبنى نفسه" (1كو 14: 4)... ومن هنا فقد اعتبرت موهبة التكلم بالألسن أقل درجات المواهب الروحية، لأنها تستهدف الذات، ولا يترتب عليها بنيان الكنيسة كلها... لكن المؤمنين في كورنثوس رفعوا من قدر هذه الموهبة، لأنها- كما يقول الذهبي فمه- كانت الموهبة

---

(44) City of God, 18, 49

الأولى التي نالها الرسل.

* علي أنه سرعان ما أسيء استخدام هذه الموهبة في حياة القديس بولس نفسه، فصارت سبباً للتفاخر والتشويش والعثرة. لذا نراه يقلل من أهميتها(45)، ويدعو المؤمنين إلى التعلق بالمواهب الأخرى، مبيناً لهم أن هناك طريقاً أفضل من المواهب، هو المحبة(46)... وتلافياً للعثرات، أوصى بولس المتكلم باللسان أن يترجم ما يقوله عن طريق استحضار ذهنه بالصلاة. وإذا تعذر عليه ذلك، فليترجم كلامه آخر مِمَّنْ نالوا موهبة الترجمة. أما إذا لم يوجد مَنْ يترجم، فليصمت في الكنيسة (1كو 14: 6- 9، 13،28).

ومن الثابت أن هذه الموهبة قد انتهت تقريباً بانتهاء عصر الرسل. وإن كان إيريناوس - من آباء القرن الثاني- قد ذكر أن هذه الموهبة كانت قائمة في الكنيسة في زمانه، لكن العلماء يشكون في صحة ذلك.

* وثمة ملاحظة هامة، ينبغي ألا نغفلها فيما يتعلق بموضوع التكلم بألسنة. لقد كانت هناك حكمة خاصة في كل مرة من المرات الثلاث التي حدثت فيها هذه المعجزة وأوردها القديس لوقا في سفر أعمال الرسل... ففي يوم الخمسين، كان التكلم بألسنة آية لجمهور المجتمعين "من كل أمة تحت السماء"، وما حدث في بيت كرنيليوس كان علامة للرسل أن الرب قد فتح باب الخلاص للأمم الوثنية (انظر أع 11: 1-18). وما حدث في أفسس كان آية لمَنْ نالوا الروح القدس بعد أن قالوا: "ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس" (انظر أع 19: 1-6)... أما أن يكون التكلم بألسنة بلا أدنى هدف أو حكمة إلهية كما يشاهد عند شيعة الخمسينيين حالياً، فأمر يقطع ببطلان ادعائهم بأنهم يتكلمون بألسنة، ولا يعدو الأمر أن يكون بعض الحركات الهستيرية أو المفتعلة...

(و) موهبة الترجمة:

وتهدف إلى جعل موهبة الألسن ذات فائدة للمستمعين، وتعطى المترجم القدرة على ترجمة الصلوات والأغاني الروحية من لغة الروح إلى لغة مفهومة.. "أنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد... فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة... ولآخر أنواع ألسنة... ولآخر ترجمة ألسنة" (1كو 12: 4، 8، 10).

(ز) موهبة الخدمة الجسدية:

وبالأخص لخدمة الشمامسة والشماسات، للرعاية المنتظمة في الكنيسة وهي تختص بكل أعمال المحبة والرحمة المسيحية، وعلي وجه الخصوص رعاية الفقراء والمرضى... والقديس بولس يسمى أصحاب هذه الموهبة "أعواناً" (1كو 12: 28).

(ح) موهبة التدبير:

للرعاة وذوي السلطان في الكنيسة، سواء كانوا رسلاً أم أساقفة أم قسوساً... ذكرها القديس بولس باسم تدابير Kybernéseis... وإلى هذا التدبير في الرعاية يشير القديس بولس بقوله: "وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً... والبعض رعاة... لأجل

---

(45) انظر: 1 كو 6:14، 9، 19، 22، 26 .

(46) انظر: 1 كو 31:12؛ 1:13، 2 .

تكميل القديسين، لعمل الخدمة" (أف 4: 11، 12).

(ط) موهبة صنع المعجزات:

وهي القوة التي منحها الرب للرسل ولبعض المؤمنين ليشفوا كل الأمراض الجسدية، ويخرجوا الشياطين، ويقيموا الموتى، ويجروا عجائب أخرى بالإيمان وقوة الصلاة ووضع الأيدي باسم الرب يسوع ولمجده "شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته" (عب 2: 4)... "أنواع مواهب موجودة ... فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة... ولآخر مواهب شفاء... ولآخر عمل قوات" (1كو 12: 4، 8-10). وقد كانت هذه المعجزات خاتم الرسولية المقدسة وبرهانها، في زمان وبين قوم كانوا في حاجة إلى هذه العلامات المادية لإيمانهم... "إن علامات الرسول عملت بينكم في كل صبر، بآيات وعجائب وقوات" (2 كو 12: 12)...

لكن بعد أن توطدت المسيحية في العالم، كانت آثارها الأدبية أفضل شاهد لحقيقتها، فحلت محل الآيات المادية الخارقة... لكن ليس معنى هذا أن المعجزات والآيات قد توقف حدوثها في كنيسة المسيح... إنها تحدث يومياً، لأن الآيات تتبع المؤمنين كما قال رب المجد (مر 16: 17،18)... لكننا نقصد الآيات الباهرة التي كانت تحدث بكثرة وبقوة عجيبة في فجر تاريخ الكنيسة، من أجل نشر الإيمان، وتدعيم عمل الكرازة، إزاء جحافل الظلمة التي كانت تكتنفها من كل جانب.

وبعد ... فهذه لمحة سريعة عن المواهب الروحية التي خص الله بها كنيسته من أجل الخير العام وبنيان النفوس... ليتنا نذكر أن هناك شيئاً اسمه مواهب روحية يخص بها الله بعض المؤمنين... ليتنا نذكر أن ليس كل إنسان يصلح أن يكون معلماً أو مدبراً أو حتى شماساً يقوم على خدمة الاحتياجات الجسدية... ليتنا نلجأ إلى روح الله القدوس ليرشد إلى كل ذي موهبة، حتى يوضع- في كنيسة الله- الإنسان المناسب في الخدمة المناسبة... ليس كل إنسان تقي يصلح إن يكون كاهناً أو معلماً أو مدبراً... فالتقوى شيء والموهبة شيء آخر... التقوى مطالب بها جميع المؤمنين، بل مفروض أن يتحلوا بها، أما الخدمة في كنيسة الله فتحتاج إلى مؤهلات أخرى، وتنجح وتفلح بالمواهب التي خص الله بها كنيسته...

الكنيسة والرعاية

منذ القديم... منذ أن اتخذ الرب لذاته شعباً خاصاً من بين الأمم، عاملهم كرعية خاصة له، وأقام لهم رعاة... لكن رعاة إسرائيل انحرفوا عن رسالتهم ورعوا أنفسهم، فوبخهم توبيخاً شديداً بفم أنبيائه(47). وفي ملء الزمان، لما سر الله أن يصنع فداء لشعبه، وظهر في الجسد، كان ينظر في حزن إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، وكان يتحنن عليهم إذ رآهم منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها (مت 9: 36)... وهكذا

---

(47) انظر: حزقيال 34: 2- 6.

قدم ذاته مثالاً للرعاية، وأعلن أنه هو " الراعي الصالح ".

وحينما قتله رعاة اليهود بأيد أثيمة، وقام وارتفع إلى المجد، بقي كما هو الراعي الصالح، لكن رأساً غير منظور للكنيسة... وهكذا دعي "راعى النفوس وأسقفها، ورئيس الرعاة" (1 بط 2: 25؛ 4:5)، "وراعى الخراف العظيم"(48). وأقام نيابة عنه الرسل وخلفاءهم والكهنة، رعاة مؤتمنون على الخراف الناطقة.

هكذا أحس الرسل- باكورة رعاة العهد الجديد- أن عمل الكنيسة الأول والأعظم في العالم ولأجله، هو الرعاية... فحينما أراد الرب يسوع أن يرد بطرس إلى رتبته الرسولية بعد أن أنكر وجدف، قال له: "ارع خرافي... ارع غنمي" (يو 21: 15-17)... وقال القديس بولس إلى رعاة كنيسة أفسس: "احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية، التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه" (أع 20: 28)... وقال القديس بطرس في رسالته: "أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم... أرعوا رعية الله التي بينكم نظاراً لا عن اضطرار بل بالاختيار. ولا لربح قبيح بل بنشاط. ولا كمَنْ يسود على الأنصبة. بل صائرين أمثلة للرعية. ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذي لا يبلى" (1 بط 5: 1-4).

وحينما قدم الرب يسوع ذاته كالراعي الصالح، كشف عن سر صلاحه في الرعاية، ومعه كشف عن الرعاة المزيفين... فالراعي الأمين يدخل من باب الخراف، الذي هو الرب يسوع نفسه، ويعرف خرافه، ويدعوها بأسمائها. ويكون مستعداً أن يبذل ذاته عنها... أما الراعي الكاذب المزيف، فيدعوه الرب سارقاً ولصاً. وهو لا يدخل من الباب، بل يطلع من موضع آخر. وكل همه أن "يسرق ويذبح ويهلك" ومتى رأى الذئب مقبلاً... متى نظر خطراً داهماً، يترك الخراف ويهرب غير مبال بها (يو10: 10-13)... هكذا علمت الكنيسة الأولى يقيناً، أن عملها الأول والأعظم والأسمى هو الرعاية، فانصرفت إليه بكل طاقاتها، وأولته كل عنايتها، عن طريق الخدام المختلفين، وأنواع الخدم المتنوعة.

والآن نتناول بالكلام عصب الرعاية وهم الخدام، ثم نعرض لثلاثة ميادين للرعاية في كنيسة الرسل: الرعاية الاجتماعية، الرعاية الأدبية والروحية، ثم الرعاية التعليمية.

الخـــــدام

تذكر الخدمة في العهد الجديد تحت أسماء متعددة، تصف خصائصها... فتذكر باسم " خدمة الكلمة" و" خدمة الروح " و" خدمة البر" و" خدمة المصالحة"... وخدام الكلمة هم خدام الله بالمعنى السامي للتسمية، وخدام الكنائس في أتضاع وحب ... إنهم نور العالم، ملح الأرض، العاملون مع الله، وكلاء سرائر الله، وسفراء المسيح ... لكن هذه الكرامة العظيمة تحمل معها مسئولية متساوية... والقديس بولس، وهو

---

(48) عب 20:13

يتأمل مجد الخدمة والوظيفة، وأنها رائحة موت لموت، ورائحة حياة لحياة، يتعجب قائلاً: "مَنْ هو كفء لهذه الأمور؟!" ثم ينسب كل أتعابه ونجاحه في الخدمة والكرازة لنعمة الله التي لا يستحقها(49).

والآن نتكلم عن فئات الخدام في كنيسة الرسل:

1- الرسل:

على الرغم من أن لقب "رسول" في الكنيسة الأولى أطلق على تلاميذ المسيح الذين اختارهم، لكنه أطلق تجاوزاً على آخرين... فالقديس بولس في (2 كو 8: 23) يتكلم عن "رسولا الكنائس". كما ذكر ابفرودتس أنه رسول الفيلبيين وكان قد حمل إليه تقدمه كنيسة فيلبى (في 25:2)...

ولم تعرف اليهودية هذا اللقب بالنسبة للخدام حتى خراب أورشليم سنة 70... أما بعد هذا التاريخ، فأرسلت أشخاصاً- دعتهم رسلاً- إلى كل يهود الشتات، ليحملوا إليهم معلومات وافية عن الرب يسوع وتلاميذه، أو بعبارة أخرى عن المسيحية. وكان هذا العمل بمثابة إجراء مناهض للإرساليات المسيحية(50)... ومهما يكن من أمر، فإن إطلاق لقب رسل على هؤلاء اليهود المرسلين، كان من قبيل التسمية اللغوية فقط. وهو في هذا يختلف مع طبيعة وضع الرسل في المسيحية.

كان رسل المسيح يتمتعون بمكانة كبيرة بين المؤمنين، حتى أن القديس بولس يقول لأهل تسالونيكى: "مع أننا قادرون أن نكون في وقار كرسل المسيح" (1تس 2: 6)... ويقول لأهل غلاطية : "وتجربتي التي في جسدي لم تزدروا بها ولا كرهتموها، بل كملاك من الله قبلتموني، كالمسيح يسوع... لأني أشهد لكم أنه لو أمكن لقلعتم عيونكم وأعطيتموني" (غل 4: 14،15)... وقد استمدوا هذه المكانة من وضعهم كرسل المسيح، والأعمال والآيات العظيمة التي خصهم بها الله لتأييد رسالتهم، ولإحساس المؤمنين أنهم مدينون لهم بحياتهم... هكذا يكتب بولس إلي فليمون " حتى لا أقول لك ، أنك مديون لي بنفسك أيضا " (فل 19).

وكان الرسل غير مستقرين في مكان واحد، لأن مهمتهم كانت تقتضيهم التنقل لأعمال الكرازة... كانوا يؤسسون الكنائس ويقيمون لها الخدام، ويتنقلون إلي أماكن أخرى وهكذا...

2- الأنبياء:

كانت الفكرة الشائعة أن الأنبياء قد بطل ظهورهم في الديانة اليهودية قبل عصر الرب يسوع ورسله بزمان طويل. لكن العهد الجديد يثبت خطأ هذه الفكرة... فيوحنا المعمدان كان نبياً، وهكذا دعي(51). وكانت حنة أيضاً نبية (لو 2: 36). والنبي اليهودي في كريت الذي أشار إليه بولس (تى 1: 12)... وذكر لنا يوسيفوس المؤرخ اليهودي، أن

---

(49) انظر:2 كو 2 :14-16 ؛3 :5, 6

(50) Justin Martyr, Dialogue, 17,108, 117, Harnack, Missions... p. 327.

(51) انظر لوقا 1 : 76 , 7 : 26 , 20 : 6.

الاسينيين كان بينهم أنبياء صادقون(52)... وكتب الرؤى اليهودية التي انتشرت نحو ذلك العصر، تشير إلى كثرة عدد الأنبياء وأنه كان لهم أتباع وقراء... ومن ثم لم يكن هناك أية غرابة في ظهور الأنبياء... لقد قوبل يوحنا المعمدان والرب يسوع بلا غرابة كأنبياء...

هكذا لم تكن النبوة في الكنيسة المسيحية حدثاً جديداً في ظهورها المبكر، واعتبرت ظاهرة تتمشى مع مثيلتها في اليهودية المعاصرة... وفي كلا الحالين - اليهودية والمسيحية – حاز الأنبياء شهرة كبيرة باعتبارهم صوت الله. وحينما كان يعترف بهم كأنبياء حقيقيين، كانوا يتمتعون بسلطة مطلقة في كرازتهم ووعظهم ونصائحهم(53).

ومن أمثلة الأنبياء في الكنيسة الأولى، أنبياء كنيسة أنطاكية (أع 13 :1)، والنبي أغابوس (أع 28:11، 11:21)، و يهوذا وسيلا (أع 15: 32)... وبالإضافة إلى الرجال، فقد كان هناك عذارى ونساء يتنبأن(54) مثل العذارى الأربع بنات فيلبس المبشر (أع21: 9)... وغالباً ما كان الأنبياء يتنقلون من مكان إلى آخر مثل النبي أغابوس، لكنهم كانوا في أحيان أخرى يقيمون في أماكن لا ينتقلون منها مثل هرماس(55).

3- المعلمون:

كان للمعلمين اليهود مكانة كبيرة جداً خاصة في فلسطين. ولكي نقف على مكانة المعلمين المسيحيين في كنيسة الرسل، نرى من المفيد الإشارة إلى مكانة المعلمين في اليهودية...

لقد طالب معلمو اليهود Rabbis لأنفسهم باحترام كامل من تلاميذهم، يفوق احترامهم لوالديهم... فقالوا: [إن احترام المعلم يجب أن يفوق احترام الأب، لأن الابن والأب كليهما يحترمان المعلم... إذا فقد كل من والد التلميذ ومعلمه شيئاً، فخسارة المعلم لها الأولوية في المطالبة بالدين. لأنه بينما الأب قد أتى بالتلميذ إلى العالم، فالمعلم قد لقنه الحكمة، ويوصله إلى الحياة الأبدية. وإذا اتفق أن والد تلميذ ومعلمه كانا يحملان حملاً، فواجب التلميذ أن يعاون معلمه أولاً، ثم بعد ذلك أباه. وإذا أسر الأب والمعلم، وجب على التلميذ أن يفدي المعلم أولاً...](56).

وكقاعدة، كان المعلمون اليهود يطلبون لأنفسهم المقام الأول أينما كانوا، الأمر الذي وبخهم عليه السيد المسيح بقوله: " يحبون المتكأ الأول في الولائم، والمجالس الأولى في المجامع، والتحيات في الأسواق، وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي" (مت 23: 6،7)... وما لبثت هذه المطالبة بالكرامة أن تحولت إلي كرامة فعلية من جانب الشعب اليهودي، على نحو ما ذكر عن غمالائيل معلم الناموس، الذي قيل عنه أنه "

---

(52) Josephus, the wars of the Jews 1.3 .5 ; 2.7.3 ; 2.8.12; Antiquities, 13.11.2.15.10.5, 17.3.3.

(53) Harnack, Missions ... pp.331-333.

(54) انظر: أع 2 : 17؛ اكو 11: 5

(55) Didache, 11,13; Carrington, Vol. 1, p .274.

(56) Harnack, Missions ... pp. 333, 334.

كان مكرماً عند جميع الشعب، (أع 5: 34)...

وقد نالت خدمة التعليم في المسيحية كرامة عظيمة، لكن ليست الكرامة "الفريسية" المفروضة على الشعب، بل الكرامة النابعة عن الحب والبذل والاتضاع ... يكفي خدمة التعليم في المسيحية شرفاً أن الرب يسوع نفسه كان يدعى " المعلم" ويشير القديس بولس إلي كرامة المعلمين بقوله لتيموثاوس: "وليحسب الكهنة الذين يحسنون التدبير أهلاً لكرامة مضاعفة، ولاسيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم، (1تي 5: 17)... لقد كانت الحاجة ملحة في ذلك العصر إلى مثل هؤلاء المعلمين، لتعليم الذين ينضمون إلي الكنيسة مفاهيم الإيمان المسيحي. هذا، في الوقت الذي كان على الكنائس أن تتخذ حذرها الشديد من المعلمين الكذبة (57) ...

وكان الرسل والأنبياء والمعلمون لا يقامون بالانتخاب كالأساقفة والقسوس والشمامسة، لأن عملهم كان يعتمد على النعمة الإلهية والمواهب الخاصة(58)... كما أن التمييز بين الرسل والأنبياء والمعلمين كان واضحاً منذ تاريخ المسيحية المبكر، ومألوفاً لدى جميع الكنائس(59). وإن كان بعضهم قد يجمع أكثر من صفة في نفس الوقت فالرسول معلم وقد يكون نبياً أيضاً...

4- درجات الكهنوت الثلاث :

ويقصد بها الأسقفية والقسيسية والشماسية. ويشترط فيها جميعاً القداسة والبعد عن الماديات(60).

(أ) الأسقف:

عبر عنه في العهد الجديد بالكلمة اليونانية Episkopos ومعناها الناظر أو الرقيب أو المتعاهد. واللفظ قديم الاستعمال في اليونانية، وورد في الترجمة السبعينية للعهد القديم...

والأسقف هو رئيس الكنيسة ومدبرها وراعيها ومعلمها. وقد أقيم الأساقفة أصلا نواباً عن الرسل، الذين ما كانوا يستطيعون البقاء في مكان واحد لفترة طويلة، لأن مهمتهم كانت تقتضي التنقل لأعمال الكرازة... وقد أقيم الأساقفة بوضع أيدي الرسل، وأعطوا حقوقهم واختصاصاتهم، بل حملوا- في بعض الأحيان- اسم "رسل"... هؤلاء الأساقفة لم يعينوا على كنيسة واحدة، بل على إقليم بأكمله هكذا أقام الرسول بولس تيموثاوس على كل آسيا، وتيطس على كريت. ولابد وأنه أقام أساقفة آخرين على أقاليم أخرى بنفس الطريقة... وكان الأسقف يمر على كل الكنائس في إقليمه، ويرسم كهنة للخدمة الكنسية في الأماكن المحتاجة إلى ذلك، ويحل أية مشكلات، ويوجه الخدام والشعب للسلوك المسيحي السليم والعقيدة القويمة بعظاته

---

(57) انظر: 2 كو 11: 13، غل 1: 7، 2 بط 2:1.

(58) انظر: أع 1:13 -3، حيث أخذت الكنيسة تعليمات من الروح القدس، غالباً بفم الأنبياء.

(59) Harnack, Missions ..., pp. 335, 336,

(60) انظر: 1تي 3:2-7؛ تى 1 :6-9.

وتعليمه[61]... وكانت إقامة الأسقف تتم بانتخاب الشعب. وقد تكلمت تعاليم الرسل(Didache[62] وقوانين الرسل كثيراً عن الأسقف وإقامته وعمله وخدمته[63].

وقد أورد القديس بولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس، وفي رسالته إلي تيطس، الصفات الواجب توافرها في الأسقف. وقبل أن نتكلم عن هذه الصفات، نشير إلي ملاحظة هامة، وهي أن هذه الوظيفة - في مفهومها الرسولى - لم تكن وظيفة عنجهية وعظمة عالمية وكرامة فريسية... إن أحيطت بهالة من الكرامة، فهي كرامة النعمة والفضيلة وحياة الزهد والبذل... وليست الكرامة المفروضة على الشعب، كضريبة يؤدونها صاغرين... وهكذا نفهم كلمات الرسول بولس: "إن ابتغى أحد الأسقفية فيشتهى عملا صالحاً" (1تي 3 : 1) ، لأنه في هذه الحالة يشتهى حياة الخدمة والبذل والفقر... " أنتم مكرمون وأما نحن فبلا كرامة. إلى هذه الساعة نجوع ونعطش ونعرى... صرنا كأقذار العالم ووسخ كل شيء " (1كو4: 10-13).

وأما الصفات الواجب توافرها في الأسقف، فيمكن تلخيصها فيما يلي:

• صفة عامة تختص بالفضيلة: عدد الرسول بولس عدة فضائل ينبغي أن يتحلى بها من يؤهل لهذه الدرجة السامية، ثم عاد وأجملها في عبارة واحدة مقتضبة "يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله " (تى1 :7)... ما أكبر الحروف التي ينبغي أن تكتب بها هذه العبارة القصيرة الجامعة... ما أرهب الدرجة، وما أخطر المسئولية والدينونة المرتبطة بها... " بلا لوم كوكيل الله "!! لا تحتاج هذه العبارة إلى مزيد من الكلمات التفسيرية، بقدر ما تتطلب دراسة جدية، ووقفات طويلة تأملية !! .

• صفة تختص بالعلم والتعليم: وعن هذا قال معلمنا بولس " ملازما للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم، عاكفا على القراءة " (1تي 4: 13)... والرسول لا يشترط في الأسقف أن يكون هو نفسه متعلماً، فهذا وحده لا يكفي. لكنه يشترط أن يكون هو نفسه ملازماً للعلم وصالحا للتعليم، وبعبارة أخرى قادراً علي تعليم الآخرين. وهذا التعليم لا يقتصر على المؤمنين وحدهم، بل يتعداهم إلى الخارجين عن الإيمان " لكي يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح، ويوبخ المناقضين " (تي1: 9).

• صفة خاصة من جهة محبة المال: ويؤكد الرسول بولس على هذه النقطة في رسالتيه إلى تيموثاوس وتيطس " ولا طامع بالربح القبيح... ولا محب للمال " (1تي 3: 3, تي 1: 7)... ونفس الأمر يشير إليه الرسول بطرس إلى الكهنة " ارعوا رعية الله التي بينكم نظاراً، لا عن اضطرار بل بالاختيار، ولا لربح قبيح بل بنشاط، ولا كمن يتسلط على ميراث الله، بل صائرين أمثلة للرعية " (1بط 2:5،3).

• صفة من جهة الخارجين عن الإيمان: يقول الرسول: " يجب أيضاً أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج "... لماذا؟ لأن هؤلاء هم من صميم اختصاصه ومسئوليته، ويجب أن يأتي بهم إلى الحظيرة... هو ليس أسقفاً على المؤمنين وحدهم،

---

[61] Harnack, Missions ..., p. 445.
[62] Didache,15.1-See A.N.F.,Vol.7,p.381 (Footnote)
[63] Apostolical Constitutions (A.N.F., Vol .7).

بل عليه واجب ومسئولية من نحو غير المؤمنين "ولى خراف أخر ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتى بتلك أيضا". وتكون رعية واحدة وراع واحد " (يو 16:10).

(ب) القسوس :

ويذكرون في العهد الجديد، أحيانا باسم "قسوس" (أع 14: 23 ؛ 20: 17)، وأحيانا باسم" شيوخ أو مشايخ"(64)... وقد أشارت إليهم قوانين الرسل في كثير من المواضع(65). وقد حدث هذا التعدد في الأسماء والخلط بينها، لأن القسوس كانوا أصلا يختارون من الشيوخ كبار السن. فكلمة شيخ هي ترجمة حرفية للكلمة اليونانية Presbyteros، وهي تعريب للكلمة السريانية قشيش (قسيس)... فحينما يذكرون في العهد الجديد باسم قسوس، فهذا يوضح رتبتهم الكهنوتية، وحينما يذكرون تحت اسم شيوخ أو مشايخ، فهذا يعبر عن تقدمهم في السن...

والأمر أوضح في الرسالة الأولى إلى الأسقف تيموثاوس... فحينما قال له بولس: " لا تزجر شيخا بل عظه كأب، والأحداث كأخوة، والعجائز كأمهات، والأحداث كأخوات بكل طهارة " (1تى ٥: 1، 2)، كان يقصد بالشيخ هنا، من هو متقدم في السن ... وبعد قليل - وفي نفس الإصحاح- حينما قال له: " أما الشيوخ المدبرون حسناً، فليحسبوا أهلا لكرامة مضاعفة، ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم... لا تضع يدا على أحد بالعجلة..." (1تي5: 17 ،22)، كان يقصد القسوس القائمين بالخدمة الكنسية(66). ويحسن في مثل هذا الوضع أن تترجم الكلمة اليونانية بعبارة (قسوس) وليس بعبارة (شيوخ). وهكذا يوجد في الترجمات غير البروتستانتية للكتاب المقدس.

وكانت تناط بالقسوس بعض الأعمال الرعوية، والتعليم، وخدمة الأسرار الكنسية المتصلة بالكهنوت... وقد دعت الضرورة إلى سيامتهم بوضع اليد من الرسل وخلفائهم الأساقفة، لما ازداد عدد المؤمنين، وكثرت الكنائس ولم يعد ممكناً إن يؤدى الرسل ثم الأساقفة، الخدمة المتسعة المتزايدة...

(جـ) الشمامسة:

والشمامسة كلمة معربة عن السريانية، وتعنى خادم ديني، ويقابلها اللفظ اليوناني دياكون Diakonos . وتقابلنا كلمة شمامسة في رسائل القديس بولس (67)...

---

(64) انظر : أع 11: 30, 15: 4 , 23 , 16 : 4 , 21 : 18 , 1 تي 5 : 17 , تي1: 5 , يع 5 : 14، 1 بط 5 :1.

(65) Apostolical Constitutions 2. 26, 57, 58; 3. 20; 8.116

(66) Wuest,The Pastoral Epistles ,pp.77,85,86; Studies in first and second Epistles of St. John, p. 199 .

(67) الكلمة اليونانية دياكونية Diakonia وفعلها Diakonein يخدم، استخدما في العهد الجديد ليصفا أنواعاً مختلفة من الخدمة. وهناك كلمة يونانية أخرى تطلق على الخدم وهي doulos، وتقابلها الكلمة الإنجليزية servant وكلمة دياكونية في المعنى الحرفي تتصل بالاحتياجات الجسدية. هكذا عبر بها الرسل عن خدمة الموائد. ولكنها استخدمت فيما بعد للدلالة على معاني أوسع تشمل كل أنواع الخدمات الزمنية والروحية. واستخدمها رب الجد حينما قال: " إن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم diakonethenai بل ليخدم diakonesai " وأيضا حينما قال: " أنا بينكم كالذي يخدم " (مت 20 : 28 ؛ لو 22: 27). ويستخدمها القديس بولس حينما يتكلم عن نفسه وعن شركائه في الخدمة للتعبير عن خدمة الكلمة، والاحتياجات المادية. وقد استخدمت أيضا للتعبير عن الخدمة التي كانت النساء يقدمنها للسيد المسيح (مر1: 31)، وعن خدمة مرثا (لو 0 ا: 40 , يو 12: 2)... لكن سرعان ما خصصت هذه الكلمة للتعبير عن خدمة معينة في الكنيسة، هي المعروفة بخدمة الدياكونية أو الشماسيه. (انظر: في 1: 1، 1 ؛ 1 تى 3: 8 ؛10 , 12, 13) , وأيضا :
The Ministry of Deaconesses, pp.1-3.

وكانت إقامتهم في بادئ الأمر لخدمة الموائد (خدمة الفقراء المادية)... وقد أقيموا بانتخاب المؤمنين تحت شرط أن يكونوا مملوءين من الروح القدس وحكمة. ثم قدموهم للآباء الرسل، فصلوا ووضعوا أياديهم عليهم.

كان مـــن سامهم الرسل في باديء الأمر لهذه الدرجة الكهنوتية، عددهم سبعة، كان أبرزهم استفانوس (أع 6: 1-8)... وقد حذت الكنائس الأخرى حذو كنيسة أورشليم الأم في إقامة الشمامسة للمساعدة في الخدمة... البعض تقيد بالعدد سبعة، والبعض لم يتقيد... وقد ظلت كنيسة روما - ولعدة قرون- متمسكة بإقامة سبعة شمامسة فقط(68).

كانت الشماسيه درجة كهنوتية سامية، ووظيفة بارزة في كنيسة الرسل، وليس كما نرى الآن بعد أن كادت هذه الرتبة بالمفهوم الرسولى الإنجيلي أن تندثر... كان للشمامسة خدمة قوية مثمرة... وإن كنا نقرأ عن هؤلاء الشمامسة، أنه أنيطت بهم في بادئ الأمر خدمة الموائد الجسدية، لكنهم كانوا يمارسون التعليم والكرازة... نقرأ في سفر أعمال الرسل - كمثال - عن استفانوس وخطابه الكرازي القوى (أع 6 ،7)، ومنه نلمس - إلى جانب الروحانية العجيبة والقلب الملتهب - ثقافته الدينية العالية... ونقرأ أيضا- كمثال- عن فيلبس أحد السبعة شمامسة، وجهوده الكرازيه (أع 8: 5-8، 26- 40)... وإلى جانب ذلك نقرأ عن الآيات والمعجزات التي كان الرب يجريها على أيدي هؤلاء الشمامسة. وقد أشارت تعاليم الرسل وقوانينهم إلى الشمامسة وخدمتهم(69).

كان الشمامسة يقومون بالخدمة الخاصة بهم في القداس الإلهي أثناء تقديس الأسرار، وفي الخدمات الطقسية الأخرى المرتبطة بالكهنوت في حدود رتبتهم . كانوا يحملون الجسد والدم إلى بيوت من عاقتهم ظروفهم عن حضور خدمة القداس. ومعظم هؤلاء من المرضى. هكذا يشهد أغناطيوس الأنطاكي الشهيد في رسالته إلي التراليين (70)، و يوستينوس الشهيد في دفاعه الأول(71).

هكذا كان الشمامسة يقومون بخدمة نشيطة متعددة الجوانب... فإلى جانب خدمة الفقراء، كانوا يسهمون في خدمة الليتورجية، كما كانوا يساعدون الأسقف في الشئون الإدارية للجماعة المسيحية. ولعل ذلك يفسر لنا سبب وضوح عمل الشماسيه عن القسيسية أحياناً، في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة (72).

هل القسوس هم الأساقفة ؟

جميع الطوائف البروتستانتية، ومن سار في فلكها، ممن تنكر الكهنوت المسيحي، تعتقد وتعلم أن القسوس (الشيوخ أو المشايخ) هم عينهم الأساقفة. وإن

---

(68) Eusebius,H.E.,6.43.11, Schaff,Vol.1,p,499

(69) Didache, 15; Apostolical Constiutions, 2:26.29.30, 31.44.57:3. 19; 8.18.

(70) Ingatius, Epistle to the Trallians, 2.

(71) Justin Martyr, 1 Apol .,65, 67

(72) Schaff , Vol . 1, p. 500

هذه الأسماء الثلاثة: شيخ، قس، أسقف، إنما هي ثلاثة مدلولات لوظيفة كنسية واحدة .. وقالوا فيما قالوا، أن تسمية قسيس ربما عبرت عن الرتبة، بينما تسمية أسقف عبرت عن واجبات هذه الوظيفة. وإن الأولى أخذت عن المجمع اليهودي، والثانية عن الجماعات اليونانية ...

أما مصدر هذا الاعتقاد فهو:

• المقارنة بين (أع 20: 17)، (أع 20: 28)، حيث يدعى نفس الأشخاص بالتسميتين (قسوس وأساقفة).

• مقارنة (1تي 3: 1- 7) مع (1 تي 5: 17- 19)، حيث الأولى تصف مؤهلات الأساقفة، بينما توضح الثانية تنظيمات باسم الشيوخ.

• أن القديس بولس الرسول يوجه رسالة فيلبى إلى الأساقفة والشمامسة، دون أي ذكر للقسوس (في 1: 1).

• وأن القديس بولس، في رسالته إلى تيطس بعدما تكلم عن الشيوخ انتقل فجأة للحديث عن مؤهلات الأسقف (تي1: 5-7)، مما يشعر بأن التسميتين لنفس الأشخاص والوظيفة... هذا هو مدعاة اعتقادهم(73).

لكننا سنرى أن الأساقفة، كانوا منذ عصر الرسل، رتبة أخرى غير القسوس المدعوين في ترجمة العهد الجديد البيروتية البروتستانتية، شيوخاً ومشايخ، وأن رتبة الأسقفية أسمى من رتبة القسيسيه (74).

1- أول ما تقابلنا كلمة "شيخ" (*) في سفر أعمال الرسل، حينما أرسلت كنيسة أنطاكية تقدمتها إلى "المشايخ(*) (في كنيسة أورشليم) بيد برنابا وشاول" (أع 11 :30). وكان ذلك بسبب المجاعة التي تنبأ عنها النبي أغابوس... وبمقارنة هذا النص بما ورد في (أع 4: 35)، عن الأموال التي كان المؤمنون يضعونها تحت أقدام الرسل، يتضح لنا حدوث تحول في نوع الخدمة التي كان الرسل مسئولين عنها في بادئ الأمر... لقد انتقلت هذه الخدمة (قبول العطايا المادية)، من الرسل إلى المشايخ (*).

ولما برزت مشكلة التهود في الكنيسة الأولى، وكان أول ظهورها في أنطاكية، رتب الإخوة المؤمنون في أنطاكية أن "يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرون منهم إلي الرسل والمشايخ (*) إلي أورشليم من أجل هذه المسالة. ولما حضروا إلى أورشليم قبلتهم الكنيسة والرسل والمشايخ"... وما لبث مجمع أورشليم أن انعقد "فاجتمع الرسل والمشايخ (*) لينظروا في هذا الأمر". وبعد فحص الموضوع: "رأى الرسل

---

(73) Encyclopadia of Religion and Ethics ,Vol. 2,p. 660;Schaff, Vol. 1, pp.491- 496 .
انظر أيضاً : كتاب الكهنوت لعوض سمعان البليموثى .

(74) Histoire de l'Eglise ,T. 1,pp. 270-274 .

(*) يمكن وضع كلمة (قسيس) هنا بدلا من كلمة " شيخ "، وكلمة " قسوس بدلا من كلمتي شيوخ ومشايخ .

والمشايخ (*) مع كل الكنيسة أن يختاروا رجلين منهم، فيرسلوهما إلي أنطاكية مع بولس وبرنابا"... أما صيغة الرسائل فكانت... "الرسل والمشايخ (*) والإخوة يهدون سلاما إلى الإخوة الذين من الأمم فى أنطاكية "(75)... وبعدها يقول كاتب سفر الأعمال: "وإذ كانوا يجتازون في المدن، كانوا يسلمونهم القضايا التي حكم بها الرسل والمشايخ (*) الذين في أورشليم ليحفظوها" (أع 4:16).

من يكون إذن هؤلاء المشايخ (*) الذين تكرر ذكرهم فيما يتصل بمجمع أورشليم إلى جوار الرسل؟ هل هم الأساقفة؟ ثابت تاريخياً أنه لم يكن هناك حتى ذلك الوقت سوى يعقوب البار أسقفا على أورشليم. فمن يكون هؤلاء سوى الكهنة القسوس، الذين تحولت إليهم بعض الخدمة التي كان الرسل يقومون بها أولا كما ذكرنا... وبالتأكيد، لم يكونوا الشمامسة، فهؤلاء أمرهم واضح...

2- وفي سنة 58 حضر القديس بولس إلى أورشليم حاملا معه إحسانات كنائسه الأممية، إلى فقراء أورشليم، وقابل القديس يعقوب أسقف أورشليم، وحضر جميع المشايخ (*) تلك المقابلة (أع 21: 18). فمن يكون هؤلاء المشايخ الذين حضروا مع أسقف أورشليم، إلا الكهنة القسوس.

3- ولا ينبغي أن يتبادر إلى الأذهان، أن هؤلاء الشيوخ كانوا من الوجهاء والأراخنة المتقدمين أو الأعضاء البارزين. فنفس القديس يعقوب أسقف أورشليم، يكشف في رسالته الجامعة التي تحمل اسمه، الدور الذي كان لهؤلاء القسوس في الكنيسة، فيقول: "أمريض أحد بينكم فليدع شيوخ (قسوس) الكنيسة فيصلوا عليه، ويدهنوه بزيت باسم الرب. وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه، وإن كان قد فعل خطية تغفر له، (يع 5: 14،15)... هكذا نرى أن هؤلاء الشيوخ (القسوس) لا يمكن أن يكونوا مجرد أعضاء بارزين في وسط الجماعة المسيحية، بل هم خدام منوط بهم وظيفة دينية طقسية، ولهم القدرة على منح نعم روحية (76)... وحديث معلمنا بولس الرسول في ميليتس إلى قسوس أفسس، شاهد قوى علي وظائفهم الرعوية (أع 20: 28- 31).

4- الربط الظاهري السطحي بين (أع 20: 17) "ومن ميليتس أرسل إلي أفسس واستدعى قسوس الكنيسة"، وبين (أع 20: 28) حيث يدعوهم أساقفة " احترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه"... هذا الخلط نتج من الترجمة العربية لكلمة episkopos اليونانية إلى أسقف. فهذه الكلمة في اليونانية- كما قلنا سابقاً -

---

(*) نفس الهامش السابق بخصوص كلمات شيخ وشيوخ ومشايخ.

(75) انظر: أع 15: 2، 4، 6، 22، 23.

(76) **Histoire de l'Eglise, T. 1, pp. 270, 271.**

تعنى "ناظر"overseer، " مدير" superintendent[77]، " معتنى " one who exercises care over أو " قيم guardian " [78]. فلماذا ترجمت إلى العربية في هذا الموضع بكلمة أسقف، وهو ليس المعنى الوحيد للكلمة؟ هذا، بينما ترجمت نفس الكلمة اليونانية في (1بط 5 :2) " نظاراً "... "ارعوا رعية الله التي بينكم نظارا، لا عن اضطرار بل بالاختيار"...

وفي الترجمة الإنجليزية مثلا، نجد أن هذه الكلمة في الآية المذكورة (أع 20: 28)، لم تترجم بكلمة bishops أي أساقفة، بل ترجمت إلى المعاني الأخرى التي تعنيها هذه الكلمة- فترجمت guardians[79]،وترجمت في أحدث ترجمة لجامعتي أكسفورد وكامبريدج[80]: which the Holy spirit has given you charge ...

كما أن كلمة أسقف التي وردت في الترجمة العربية للآية (1بط 2: 25) "لأنكم كنتم كخراف ضالة، لكنكم رجعتم الآن إلى راعى نفوسكم وأسقفها "، لم ترد في الترجمات الأخرى هكذا. فوردت في الترجمة الإنجليزية guardian وليس bishop. ووردت في الترجمة الفرنسية gardien وليس évêque كما في الآيات الأخرى التي تتكلم عن الأسقف كرتبة كهنوتية.

واضح إذن من كل ما سبق أن كلمة " أساقفة " الواردة في الترجمة العربية للآية " أع 20: 28)، لا تعنى الرتبة الكهنوتية بحسب مفهوم الكلمة، بل المقصود هو المعنى اللغوي للكلمة على النحو الذي ذكرناه. ولعل أكبر دليل على صدق رأينا هذا، هو أن القديس لوقا كاتب سفر الأعمال قال عن بولس أنه: " إستدعى قسوس الكنيسة "... وقد فهمت الكنيسة منذ القديم الآية المذكورة على هذا النحو... فالقديس يوحنا الذهبي فمه - وهو من أئمة التفسير في الكنيسة الجامعة - في تفسيره لهذه الآية، لا يذكر كلمة أساقفة، بل نظار [81].

5- أما الادعاء بأن القديس بولس لم يشر إلى القسوس بينما ذكر شروط الأسقف والشمامسة في رسالته الأولى إلى تيموثاوس (1تى 3: 1-13)، فهو ادعاء غير صحيح - فالواقع أن مار بولس تكلم في نفس الرسالة عن القسوس تحت اسم الشيوخ، فقال :"أما الشيوخ (القسوس) المدبرون حسنا، فليحسبوا أهلا لكرامة مضاعفة، ولا سيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم... لا تقبل شكاية علي شيخ (قس) إلا علي شاهدين أو ثلاثة شهود"... ولئلا يظن أحد أنه قصد بالشيوخ كبار السن كما في (1تى5 : 1)، قال بعدها مباشرة: " لا تضع يداً علي أحد بالعجلة ولا تشترك في خطايا الآخرين"... وواضح أنه يقصد بوضع اليد هنا الرسامة الكهنوتية، - كما سنشرح ذلك فيما بعد.

وجديرا بالذكر أن القديس بولس، غالبا ما يشير إلى القسوس في رسائله

---

[77] Young's Analytical Concordance to The Bible
[78] Wuest , The Pastoral Epistles , p. 52
[79] The Revised Standord Version; Moffatt, A New translation of the Bible.
[80] Oxford and Cambridge; the New English Bible.
[81] Homily 44 on the Acts (N.P.N.F. Vol 11, p.269).

الأخرى بحسب الخدمات التي كانوا يقومون بها. فيذكر مدبرين(82)، ورعاة ومعلمين (83)، وأساقفة وشمامسة (في 1:1)، ومرشدين (84). وفى (1تى 5: 17) يذكر " الشيوخ (85) المدبرين حسنا "(86).

6- القديس بولس، يوجه رسالته إلى فيلبى إلى "جميع القديسين فى المسيح يسوع الذين فى فيلبى مع أساقفة وشمامسة" (فى 1:1)- وليس هناك أى ذكر أو أشارة إلى القسوس. ومن الملاحظ أن القديس بولس فى كل مرة تكلم فيها عن الأسقف بالمعنى الكهنوتى ذكره بصيغة المفرد(87). أما عن القسوس (الشيوخ)، فلم يرد ذكرهم فى كتابات العهد الجديد، سواء لبولس أو لكاتب سفر الأعمال أو لغيرهما إلاَّ بصيغة الجمع(88)... والمرات الوحيدة التى وردت فيها كلمة شيخ فى صيغة المفرد، قصد بها شيخوخة السن وليس وظيفة القسيس الكهنوتية(89) وفى هذا دليل على سمو رتبة الأسقفية عن القسيسية، والدرجة الأسمى عدد وظائفها أقل من الأدنى منها...

من أجل هذا فإن أولئك الذين ذكرهم القديس بولس فى (فى 1: 1) على أنهم أساقفة، هم فى الواقع قسوس وليسوا أساقفة. وهو فى هذه الحالة يخاطب هؤلاء القسوس باعتبار خدمتهم وعملهم الرعوى. ومن ناحية أخرى، فإن التقليد القديم جداً منذ تأسيس الكنيسة إستقر على أن يقام أسقف واحد على مدينة واحدة، أو على إقليم (عدة مدن)... أما القديس يوحنا الذهبى فمه - وهو من أعمدة التفسير فى الكنيسة الجامعة - فيرى- إلى جانب ما ذكرنا- أن مار بولس كان يعنى بالأساقفة القسوس، لأن العادة كانت أن يتبادل الخدام الألقاب... يقول فى تفسيره للآية (فى 1: 1): [يقول (مار بولس) إلى شركائى (90) الأساقفة والشمامسة. ما هذا، هل كان هناك أساقفة عديدون لمدينة واحدة؟ قطعاً لا. لكنه دعا القسوس هكذا، لأنهم كانوا يتبادلون الألقاب. وكان الأسقف يدعى خادماً(91). ولهذا السبب، فحينما كتب إلى تيموثاوس - وهو أسقف- قال له: "تمم خدمتك". أما كونه أسقفاً فيتضح من قوله له: "لا تضع يدك على أحد بالعجلة" (1تى 5: 22)، وأيضاً: " المعطاة لك بوضع أيد المشيخة" (1تى 4: 14). ومع ذلك فلا يمكن أن يكون القسوس (الشيوخ) قد وضعوا أيديهم على أسقف... لذلك- وكما قلت- فقد دعى القسوس قديماً أساقفة، وخداماً للمسيح. ودعى الأساقفة شيوخاً - ولكن فيما عدا ذلك فالاسم الخاص مخصص بوضوح لكل منهم](92).

---

(82) 1تس 5: 12؛ رو 12: 8 .

(83) أف 4: 11.

(84) عب 13: 7، 17، 24.

(85) وتترجم القسوس أيضا.

(86) Histoire de l'Eglise ,T:1,p:271

(87) 1تى 2:3 ؛ تى 1 :7.

(88) انظر: أع 11: 30؛4 1: 23؛ 15: 4، 23؛ 16: 4؛ 20: 17؛21: 18؛ 1تى 5: 17؛ تى 1: 5 ؛ يع 5: 14 ؛ 1بط 5: 1.

(89) 1تى 1:5 ، فل 9 ، 2يو1، 3يو 1- انظر:
Wuest, The Pastoral Epistles, p.77; The Second and Third Epistes of John, p.199.

(90) " شركائى "، هكذا هى موجودة فى عدد كبير من المخطوطات القديمة للعهد الجديد.

(91) باليونانية Diakonos، وهى أيضاً الكلمة المستخدمة للتعبير عن الشماس.

(92) N.P.N.F., Vol.6, Homily 1, p.184.

7- أما ما جاء فى (تى 1: 5-7) "من أجل هذا تركتك فى كريت لكى تكمل ترتيب الأمور الناقصة، وتقيم فى كل مدينة شيوخاً (قسوساً) كما أوصيتك. إن كان أحد بلا لوم... لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله"... فالقديس بولس يتكلم أولاً عن القسوس، ثم ينتقل فجأة ليتكلم عن الأسقف، مما يوحى للبعض أن القسوس والأساقفة هم درجة واحدة.

ونلاحظ هنا، أنه فى الوقت الذى يتكلم فيه عن إقامة شيوخ (قسوس) بصيغة الجمع، ينتقل فجأة لكلام عن الأسقف بصيغة المفرد... أما السبب فى ذلك فهو لأن الكنيسة درجت على إختيار الأساقفة من بين القسوس(93)... ووضعت شروطاً خاصة لمَنْ يرقى لهذه الدرجة السامية... فلا تعارض بين النصين، ولا خلط بين الرتبتين والوظيفتين... ومازالت الكنيسة حتى الآن تمارس الترقية من درجة كهنوتية إلى أخرى.

يقول الأستاذ كينيث وست(94) Kenneth Wuest فى شرحه للاصحاح الخامس من الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، مستشهداً برأى أستاذ آخر يدعى فنسنت Vincent، (94) يقول: [إن النقد الحديث، يضطرنا - كما أعتقد - أن نتخلى عن فكرة وحدة الأسقف والشيخ (القس)]. و يستشهد بشهادة القديس أكليمنضس الرومانى، فى أن الأساقفة متميزين عن القسوس. واذا كان الأساقفة يشار إليهم بوضوح كقسوس، فما ذلك إلا لأنهم كانوا يختارون من بين جماعة القسوس، وظلوا يحتفظون بالاسم حتى بعد أن تركوا الوظيفة(*).

"Vincent present a strong case for his assertion, that modern criticism compels us, I think to abondon the view of the identity of bishop and presbyter. He cites the testimony of clement of Rome to the effect that bishops are distinguished from the presbyters, and if the bishops are apparently designated as presbyters, it is because they have been chosen from the body of presbyters, and have retained the name even when they have ceased to holy office,, (95)

وفى تفسيره (تى 1: 5- 7) يورد الأستاذ وست Wuest أيضا رأى الأستاذ فنسنت الذى يقول: [إن معنى الوصية، هو أن يختار تيطس من بين مجموعة الشيوخ (القسوس) ذوى السمعة الطيبة، بعضاً، ليكونوا نظاراً (أساقفة) على الكنائس فى المدن المتعددة(96)... ونفس المعنى يورده أيضاً المؤلف فى معرض حديثه عن (2

---

(93) Carrington,vol.1,p269

(94) أستاذ الدراسات اليونانية للعهد الجديد فى معهد مودى للكتاب المقدس فى شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية.

(*) كلمة قسوس هنا يمكن أن تحمل المعنى العام أى كهنة كما يقال عن قائد الجيش أنه جندي.

(95) Wust,The Pastoral Epistles,p 77

(96) Ibid,p.183;Carrington,vol.1.p.269;Danielou vol.1.p.37.

يو1) فيقول: [من بين رتبة هؤلاء (القسوس)، كان يختار الأساقفة "[97].

درجات الكهنوت الثلاثة فى كتابات الآباء الرسوليين:

نلاحظ أن درجات الكهنوت الثلاثة (الأسقفية والقسيسية والشماسية)، واضحة كل الوضوح فى كتابات الآباء الرسوليين، ونقصد بهم تلاميذ الرسل ومعاصريهم. ونكتفى بعينتين من كتابات القديسين كليمنضس الرومانى، وأغناطيوس الأنطاكى الشهيد...

*** يقول كليمنضس فى رسالته الى كنيسة كورنثوس: [والرسل... بعد أن كرزوا فى الأقاليم والمدن، أقاموا باكورة أعمالهم - بعد أن اختبروهم فى الروح - أساقفة وشمامسة لأولئك الذين سيؤمنون فيما بعد... طوبى لأولئك القسوس (الشيوخ)، الذين أكملوا قبل الآن (تنيحوا)، فقد كان إنتقالهم من هذا العالم مثمراً وكاملاً][98].**

*** أما أغناطيوس الشهيد، فقد أشار مراراً فى رسائله إلى درجات الكهنوت الثلاثة:**

(أ) يقول فى رسالته إلى أهل أفسس: [يليق بكم أن تكونوا باتفاق مع إرادة الأسقف الذى يدبركم، بعد أن أقامه الله عليكم، الأمر الذى تفعلونه بالحقيقة من تلقاء أنفسكم، حيث أن الروح يعلمكم أن قسوسكم الذائعى الصيت كما يليق بالله، منسجمون مع الأسقف، إنسجام الأوتار بالقيثارة](*).

(ب) وفى رسالته إلى التراليين يقول: [إخضعوا للأسقف كما للرب، لأنه يسهر لأجل نفوسكم، كإنسان سيعطى حساباً لله. من الضرورى إذن - مهما فعلتم - ألاَ تفعلوا أمراً بدون الأسقف. واخضعوا للقسوس كما لرسل يسوع المسيح رجائنا... و يليق بكم أيضاً - من كل وجه - أن ترضوا الشمامسة الذين هم خدام أسرار يسوع المسيح. فهم ليسوا خدام طعام وشراب، بل خدام كنيسة الله](**).

(جـ) ومن رسالته الى أهل فيلادلفيا: [لى ثقة بكم فى الرب، أن لا تتحولوا عن ذهنكم - وأكتب إليكم واثقاً فى محبتكم اللائقة بالله، حاثاً إياكم أن يكون لكم إيمان واحد... وافخارستيا واحدة. فإنه ليس هناك سوى جسد واحد لربنا يسوع المسيح، ودمه الواحد الذى سُفِكَ عنا... ومذبح واحد للكنيسة كلها. أسقف واحد مع القسوس والشمامسة شركائى فى الخدمة] (***).

(د) ويذكر فى قصة إستشهاده، أنه بعد أن وصل إلى سميرنا (أزمير)، إستقبله هناك الأساقفة والقسوس والشمامسة، الذين أسرعوا من الجهات المتاخمة للقائه

---

(97) **Wuest,studies in 2 John,p.199**

(98) **Clement of Rome, Epistle to the Corinthians ,42.44(A.N.F.,vol1.pp.16.,17.**

(*) **A,N.F., Epistle of Ignatius to the Ephesians, Ch.4,p.50**

(**) **A,N.F., Epistle of Ignatius. to the trallianas ,Ch.2,pp.66,67**

(***) **A.N.F.,Epistle of Ignatius to the phiadelphianas,ch.4.p .81.**

والتبرك منه[99].

خدمة النساء

سبق أن عرضنا لأثر المسيحية على المرأة، ووضع المرأة فى الكنيسة المسيحية. لذا، فليس غريباً أن نلمس خدمة النساء واضحة فى كنيسة الرسل، ونقرأ عن نشاطهن. على أن ذلك لم يكن شيئاً مألوفاً فى مجتمع ذلك العصر... لقد وجدت كاهنات فى بعض الديانات الوثنية، ووجدت عذارى للآلهة فستا Vesta ، لكن دور المرأة اليهودية - فى الخدمة الدينية - كان ضئيلاً ومحدداً. والمرأة اليهودية لم تكن فى حال أفضل من هذه الزاوية، إذ لم يكن يسمح لها بالمشاركة فى الخدمة الدينية. وباستثناء أمثلة نادرة ومتفرقة [100]، فإن المرأة فى اليهودية، كانت بمعزل عن مجال الخدمة الدينية. وليس أدل على ذلك من الغرابة التى تملكت تلاميذ السيد المسيح حينما رأوه- فى قصة السامرية- يكلم إمرأة (يو 4: 27)... فلقد نظر معلمو اليهود فى ذلك العصر إلى المرأة نظرة إحتقار. لكن المسيحية رفعت من قدر المرأة.

لقد أشرنا قبلاً إلى النساء اللاتى كن يخدمن الرب يسوع من أموالهن... هؤلاء لم تتوقف خدمتهن له بانتهاء حياته الجسدية على الأرض. لكنهن قدمنها له شخص كنيسته المقدسة التى هى جسده. وحتى قبل مولد الكنيسة فى يوم الخمسين، نرى مشاركة المرأة فى حياة الكنيسة وخدمتها. لقد قدمت مريم أم يوحنا الملقب مرقس (مارمرقس) بيتها فى أورشليم ليكون أول كنيسة مسيحية فى العالم (أع 12: 12). وهناك كانت النساء المؤمنات والعذراء الطاهرة مريم يواظبن على الصلاة مع الرسل، منتظرين موعد الآب (أع 1: 14).

وخارج أورشليم، نقرأ عن طابيثا فى يافا، تلك التى كانت ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات للفقراء والأرامل (أع 9: 36)، وبنات فيلبس المبشر الأربع اللائى كن يتنبأن فى قيصرية (أع 21: 8،9)... ويحدثنا مار بولس فى رسالته إلى أهل فيلبى عن أفودية وسنتيخى اللتين جاهدتا معه فى الإنجيل (فى 4: 2،3)... ويشير مار بولس فى رسالته إلى أهل رومية عن خدمة النساء فى عاصمة الإمبراطورية... فيذكر مريم التى تعبت كثيراً، وتريفينا وتريفوسا التاعبتين فى الرب... كما يذكر برسيس المحبوبة (رو 16: 6، 12).

وفى كنيسة كورنثوس وجدت إثنتان من أنشط نساء العصر الرسولى خدمة هما بريسكلا وفيبى... وقد خدمت الأولى مع زوجها أكيلا فى أفسس و روما وكورنثوس. وقد أقام بولس فى بيتهما فى كورنثوس مدة إقامته الطويلة هناك. ويتحدث عنهما بتقدير كبير فيقول: " اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتى "(رو 16: 4).

أما فيبى فهى أيضاً من كنيسة كورنثوس، ويذكرها القديس بولس فى الرسالة

---

[99] **A.N.F.,the Martyrdom of Ignatius ,Ch.3,p.130**

[100] **مثل دبورة وخلدة النبيتين- انظر: قض 4: 4؛ 2 مل 22: 14**

إلى أهل رومية، وهى نفسها كاتبة هذه الرسالة... " أوصى إليكم بأختنا فيبى التى هى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا (101)، لكى تقبلوها فى الرب كما يحق للقديسين... لأنها صارت مساعدة لكثيرين، ولى أنا أيضاً" (رو 16: 1، 2).

الشماسات(102):

تكلمنا عن النساء فى كنيسة الرسل، وذكرنا بعض الأسماء. هؤلاء اللائى ذكرنا أسماءهن، كن يعملن بغيرة قلبية، لكننا لا نعتقد أنهن كن مكلفات من قبل الكنيسة... وأول إشارة تقابلنا فى العهد الجديد عن دياكونية المرأة، هى المرتبطة بفيبى... يقول ماربولس فى (رو 16: 1) " أوصى إليكم بأختنا فيبى، التى هى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا". والكلمة اليونانية التى ترجمت خادمة هى **Diakonos** وهى نفس الكلمة التى إستخدمت عن السبعة شمامسة (أع 6).

والقديس بولس فى رسالته إلى تلميذه الأسقف تيموثاوس، فيما يتحدث عن صفات الشمامسة، يشير إلى النساء " كذلك يجب أن تكون ذوات وقار غير ثالبات صاحيات أمينات فى كل شىء" (1 تى 3: 11). ويكاد يجمع جميع المفسرين القدامى والمحدثين، على أن الرسول يتكلم هنا عن الشماسات، وليس عن زوجات الشمامسة. يقول القديس يوحنا الذهبى فمه فى تفسيره لهذه الآية: [لقد ظن البعض أن هذا الكلام قد قيل عن النساء عامة. لكن الأمر ليس كذلك... إنه يتكلم عن الشماسات](103)... ويؤكد الأستاذ وست **Wuest** أن النص اليونانى يؤكد وجهة النظر بأن الأمر يختص بالشماسات(104).

أما الخدمة التى كانت الشماسة منوطة بها، فهى خدمة بنات جنسها بصفة عامة، كما نصت على ذلك قوانين الرسل. كانت تقوم على المداخل المؤدية إلى القسم المخصص للنساء فى مكان العبادة(105). وكان من أعمالها الهامة، مساعدة الكاهن فى عماد النساء فى الأمور واللحظات التى يجب أن يتنحى، حتى لا يبصر جسد امرأة عارياً(106)... وكان الأسقف يرسلها لإفتقاد النساء، خاصة فى بيوت غير المؤمنين، حيث يستحسن ألا يذهب الشماس الرجل للإفتقاد منعاً للعثرات(107).

وقد أجملت قوانين الرسل خدمة الشماسة فى النص التالى [والشماسة فلتكن صاحية فى العناية بالنساء، ويكون كلاهما (الشماس والشماسة) على استعداد لحمل رسائل، للسفر، وللخدمة] (108)... وفى تقليد قديم أن فيبى شماسة كنيسة كنخريا هى التى حملت رسالة القديس بولس إلى أهل رومية، بعد أن كتبها فى كورنثوس.

---

(101) ميناء كورنثوس

(102) Ency,of Religion and Ethics ,vol .88,pp.668,669;Dictionary of Christian Antiquities vol.1,pp.532,533;the Ministry of Deaconesses.pp.64 -79

(103) commentary on 1 Timothy, Homily 11(N.P.N.F,p.441)

(104) Wuest ,the pastoral Epist

(105) Apostoilcal constitutions,2.57.(A.N.F.,p.42)

(106) lbid; 3.16.(A.N.F.,p.431)

(107) lbid; 3.2.(A.N.F.,p.431)

(108) lbid; 3.19.(A.N.F.,p.432)

وقد إشترطت قوانين الرسل أن تكون الشماسة عذراء طاهرة، أو على الأقل أرملة سبق لها الإرتباط بزيجة واحدة(109). ونلاحظ أن رتبة الشماسة فى الكنيسة ليست درجة كهنوتية، فلا كهنوت للنساء. ولا توضع عليها الأيدي كما فى حالة الرسامات الكهنوتية. لكنها تقام من الأسقف، ويتلو عليها صلاة، وردت فى قوانين الرسل (110)، جاء فيها:

" يا الله الأبدى، أبا ربنا يسوع المسيح، خالق الرجل والمرأة، الذى ملأ بروحه مريم ودبورة وحنة وخلدة، ولم تستنكف أن يولد ابنك الوحيد من امرأة... إلخ ".

هكذا كانت الكنيسة الأولى حية لكل إحتياجاتها، واستغلت كل طاقات أعضائها، من أجل تحقيق الرعاية الكاملة لكل فرد فيها... وعلى الرغم من الجمود الذى كان يتصف به المجتمع وقتذاك من جهة إحتجاب المرأة ووضعها، فقد عرفت الكنيسة كيف تتغلب على هذه الصعوبات الإجتماعية، التى كان لا سبيل لإصلاحها بكلمة واحدة، أو فى زمن يسير...

لقد دخلت الكنيسة إلى حيث النساء والفتيات فى شخص الشماسات القديسات. ونحن لا نشك فى أن شطراً كبيراً من تعليم النساء والأطفال كان موكولاً إليها. وكانت هى همزة الوصل بين الكنيسة والقطاع النسوى فيها(111).

الأرامل(112):

أول ما نقرأ عن الأرامل فى الكنيسة المسيحية فى (أع 6:1)، فيما يتصل بموضوع إقامة السبعة شمامسة. ثم نقرأ عنهن فى قصة طابيثا (أع 9: 39، 41)... ويبدو أن رعاية الكنيسة لهن فى الفترة المبكرة من تاريخها كان ينحصر فى تقديم وجبات طعام يومياً (أع 6: 1). لكن سرعان ما تزايد عدد الأرامل، حتى أن الرسول بولس يعطى إهتماماً خاصاً لهن فى رسائله الرعوية. وإزاء تزايد الأعباء المادية على الكنيسة بسبب مساعدتها للأرامل، كتب القديس بولس هكذا: " إن كان لمؤمن أو مؤمنة أرامل فليساعدهن، ولا يثقل على الكنيسة لكى تساعد هى اللواتى هن بالحقيقة أرامل " (1تى5: 16).

على أن ما يهمنا فى موضوع الأرامل، ليس هو رعاية الكنيسة لهن مادياً، فهذا أمر مفروغ منه، ويتكلم عنه يعقوب الرسول على أنه الديانة الطاهرة (يع 1: 27)... لكن الكنيسة الناشئة عرفت كيف تقوم بواجبها ازاء هذه الفئة البائسة، وفى نفس الوقت رفعت من معنوياتهن، وأستفادت منهن بعد أن كن يشكلن عبئاً عليها... لقد عرفت الكنيسة كيف تحول هذه الفئة الى طاقة فعالة ضمن طاقاتها.

---

(109) lbid; 6.17.(A.N.F.,p.457)

(110) lbid; 8.20.(A.N.F.,p.492)

(111) يقول المؤرخ شاف schaff أن وظيفة الشماسة فى الكنائس الشرقية استمرت حتى نهاية القرن الحادى عشر - انظر: schaff,vol.1,pp.500,510..

(112) اهتم الآباء بوضع الأرامل فى الكنيسة ووضعوا لهن القوانين- انظر: قوانين باسيليوس الكبير ص 366- 370، S..Augustin,Good of windowhood

لقد شكلت الأرامل طغمة خاصة داخل الكنيسة، لهن عمل ورسالة... وهكذا نقلتهن الكنيسة من وضع المنتفعين الذين يتقاضون مساعدات مادية، الى وضع الخادمات... ليس معنى هذا أن الكنيسة تخلت عن اعالتهن والعناية بهن، لكن كانت عليهن أعمالاً يؤدونها، مقابل اعالتهن...

يقول القديس بولس لتلميذه الأسقف تيموثاوس: " لتكتتب أرملة أن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة ، امرأة رجل واحد. مشهود لها فى أعمال صالحة. ان تكن قد ربت الأولاد، اضافت الغرباء، غسلت أرجل القديسين، ساعدت المتضايقين، إتبعت كل عمل صالح. أما الأرامل الحدثات فارفضهن لأنهن متى بطرن على المسيح يردن أن يتزوجن" (1تى5: 9- 11)... هذا الكلام يوضح أنه كانت هناك شروط لعضوية طغمة الأرامل فى الكنيسة... ليس معنى هذا أن الكنيسة كانت تساعد فريقاً من الأرامل دون فريق، بل هى كانت تساعد الجميع، لكنها إشترطت مؤهلات معينة لعضوية طغمة الأرامل، اللائى ستوكل إليهن خدمات معينة(113).

هكذا نرى أن مؤهلات الأرملة كانت مؤهلات عالية، حتى أن القديس يوحنا الذهبى فمه، فى تعليقه على قول الرسول " اتبعت كل عمل صالح ". (1تى 5: 10) يقول: [عجباً ! أى نوع من التدقيق هذا الذى يطلبه الرسول من الأرامل. إنه يكاد يكون نفس ما يطالب به الأسقف...] (114) وليس هذا فحسب، بل إن قوانين الرسل أمرت بأن تبقى الأرملة فترة تحت الإختبار، إن لم يكن موثوقاً بها، وذلك قبل أن تدرج فى قوائم طغمة الأرامل(115)... ولا شك أن هذا يوضح لنا مدى إهتمام الكنيسة الأولى بهذه الفئة، التى غدت عبر الأجيال كما مهملاً فى كنيسة المسيح !!

هكذا نرى أن الأرامل قد شكلن طغمة خاصة داخل الكنيسة، لهن كيان خاص متميز عن العلمانيين العاديين(116). لكن يبدو أن الأرامل فى عملهن وخدمتهن كن على نوعين: نوع منقطع للصلاة وملازمة الكنيسة تشبهاً بحنة بنت فنوئيل (117) التى وهى " أرملة نحو أربع وثمانيين سنة لا تفارق الهيكل، عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً " (لو 2: 37)، ونوع كان يخدم بين المرضى، ويحث الشابات على حياة الطهارة، ويبشر بين غير المؤمنات (118) وهذا يتمشى مع وصية القديس بولس لتلميذه الأسقف تيطس عن العجائز "معلمات الصلاح (119)، لكى ينصحن (يدربن) الحدثات" (تى 2: 3، 4).

وقد أشار الآباء الرسوليون إلى الأرامل وخدمتهن، وأوصوا بهن... أشار إليهن

---

(113) Wuest;The Pastoral Epistles ,p.78

(114) Commentary on first Timothy, Homily 14(N.P.N.F.,p454)

(115) Apostolical Constitutions,8.25(A.N.F.,p493)

(116) Ibid;3.1.2;8.25

(117) Ibid,3.1(A.N.F.,p.426)

(118) Dictionary of Christian Antquities,vol.2,p.2034;Hastings , Dictionary of the Bible,p.972

(119) لفظ معلمات الصلاح فى اليونانية هو Kalodidaskalos وتعنى معنى التعليم الشفوي والتدريب انظر : Wuest;The Pastoral Epistles,p.191

هرماس فى كتابه الراعى(120). والقديس أغناطيوس الشهيد، عّير الهراطقة لأنهم أهملوا الأرامل (121)، ويحث القديس بوليكاربوس، ألاَ يهمل الأرامل، بل يجعلهم موضع عنايته الخاصة(122)... وبوليكاربوس نفسه يحث قسوس فيلبى ألا يهملوا الأرامل، ويدعوهم [مذبح الله] (123)...وقوانين الرسل تشبه الأرامل والأيتام بمذبح المحرقة الذى كان فى هيكل العهد القديم، الذى كانت التقدمات تقدم عليه لله(124)... ويوستينوس الشهيد، يضع الأرامل والأيتام على رأس قائمة مَنْ توزع الكنيسة عليهم مساعداتها(125).

الرعاية الاجتماعية

ونقصد بالرعاية الإجتماعية كل أعمال الرحمة التى خصت بها الكنيسة الأولى أعضاءها من الفقرا والمنكوبين والأرامل والأيتام فى شتى صور عوزهم واحتياجاتهم ... وقد استمدت الكنيسة الأولى مشاعر العطف على الفقراء من كلمات رب المجد يسوع نفسه، وحياته الجسدية على الأرض.

1- نظرة الكنيسة للفقراء:

عاش السيد المسيح- وهو رئيس ملوك الأرض (رؤ 1: 5)- فى العالم فقيراً، ليس له بيت خاص يأوى إليه، ولا حتى موضع يسند فيه رأسه (مت 8: 20)، ولا يمتلك ثوبين... وقد أظهر بتصرفاته حنواً بالغاً على الفقراء، وفتح بكلماته وأمثلته عن الرحمة كنوز الأغنياء، حينما أظهرها فى صورة مشرقة قوية قادرة أن توصل إلى المجد(126)... هكذا أضاءت حياة الرب يسوع وكلماته بقوة أجيال الكنيسة فى كل مكان. وكان لها من القوة والتأثير، أن عملت معجزات عبر الأجيال المتلاحقة فى الأفراد والجماعات والشعوب...

لقد إكتسب الفقر وضعاً جديداً نتيجة شعاع إنعكس عليه من مجد ذاك الذى إتضع وصار فقيراً... وهكذا رفع الفقراء وكرموا بعد أن جعلهم المسيح إخوته، واعتبر ما يصنع بهم من أعمال الرحمة كأنها قدمت إليه. وتستوى فى ذلك الأعمال العظيمة، مع ما يبدو تافهاً... فحتى كأس الماء البارد باسمه لا يضيع أجره (متى 10: 42)...

هكذا آمنت الكنيسة الأولى بالرحمة كفضيلة كبرى ومظهر للقلب الذى يريده الله، وعلمت بنفعها، وبأنها الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب (يع 1: 27)، فى الوقت الذى حملت على الثروة المادية المعطلة التى يساء إستخدامها، وعلى الأثرياء الذين يعيشون لأنفسهم فقط ...

---

(120) Hermes; the pastor,3.26
(121) Epistle to the smyrnaeans.ch.6
(122) Epistle to Polycarp,ch.4
(123) Epistle to Philipians ,Ch.4
(124) Apostolical constitutions,2.26
(125) Justin Martyr,1 Apol.67.

(126) انظر: مت5 :7؛ 13:9؛ 25: 34-36؛ 40 ؛ لو 6 :36 ؛ 12: 21؛16 : 19-31

ويقدم لنا سفر أعمال الرسل البرهان العملى على إيمان أعضاء الكنيسة الأولى بعمل الرحمة، فيذكر لنا مَنْ باعوا حقولا وبيوتاً وقدموا أثمانها للكنيسة... ومن بينهم يسجل لنا أسماء برنابا الرسول وحنانيا وسفيرة (أع 4: 34-2:5). كما يذكر اسم طابيثا التى إهتمت بالفقراء، وعلى الأخص بالارامل (أع 9: 36-39)... هذا من الناحية الفردية، أما على مستوى الكنيسة العام، فقد كان هناك تنظيم مالى خاص ... 2- التنظيم المالى والرعوي فى كنيسة الرسل:

واضح أن المجتمع المسيحى الأول - على الأخص فى أورشليم - كان معظم أعضائه من العناصر الفقيرة الكادحة (127) **ويكشف لنا القديس بولس ذلك حينما يقول: "ليس كثيرون حكماء حسب الجسد، ليس كثيرون أقوياء، ليس كثيرون شرفاء" (1كو 1: 26). وإزاء ذلك- ومع إزدياد عدد المؤمنين يوماً فيوم- أخذت مسئوليات الكنيسة المالية تتزايد... واضحت الحاجة ماسة الى تنظيم رعوى للفقراء، بالإضافة إلى تنظيم مالى...**

فيما يختص بالتنظيم الرعوى، أقامت الكنيسة الأولى السبعة شمامسة كهيئة مسئولة عن خدمة الموائد، وهو إصطلاح يعنى الخدمة الإجتماعية. وكانت الكنيسة فى الفترة المبكرة جداً تقدم وجبات طعام يومية لفقراء المؤمنين.

أما التنظيم المالى فكان الغرض منه، أن يحيا كل فرد فى الجماعة حياة كريمة " لم يكن فيهم أحد محتاجاً" (أع 4: 34). هذه الحياة الكريمة جاءت نتيجة للحياة المشتركة، أو الحياة الإشتراكية كما تسمى "لم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له، بل كان عندهم كل شىء مشتركاً"(أع 4: 32). ونلاحظ على الإشتراكية المسيحية الأولى، أنها مفهوم روحى بالدرجة الأولى وليست بحسب المفهوم الإقتصادى فى النظام الشيوعى الحديث... و نلاحظ على هذه الإشتراكية المسيحية الأولى ما يلى:

(أ) لم تكن إجبارية (أع 5: 4)... فالمسيحية تعلم أن الإنسان لا ينال جزاء عمل طيب يعمله إلا إذا عمله برضاه وبمحض إرادته ورغبته. هكذا يقول مار بولس لفليمون: "لكن بدون رأيك لم أرد أن أفعل شيئاً، لكى لا يكون خيرك كأنه كل سبيل الاضطرار، بل كل سبيل الإختيار" (فل 14).

(ب) هذه الإشتراكية الأولى لم تكن تعنى التجرد التام من كل شىء. فمريم أم يوحنا الملقب مرقس، استمرت تمتلك بيتاً فى أورشليم، كانت تعقد فيه إجتماعات الكنيسة (أع 12: 12).

(جـ) إن هذه الإشتراكية كانت وليدة مفهوم روحى جديد، ونتيجة عمل النعمة فى القلب... لقد أصبح جميع المسيحيين أعضاء فى جسد واحد رأسه المسيح، وكان لهم قلب واحد ونفس واحدة(128)**. فلا عجب إن كان لهم الإحساس الواحد بآلام البعض واحتياجاتهم. والكنيسة لم تطالب أعضاءها بأن يقدموا... لقد قدموا هم من تلقاء**

---

(127) **Karl Kautsky ,foundations of Christianity ,p.272.**

(128) **انظر: رو 2 1: 5 ؛كو 1: 8 1؛أع 4: 32.**

أنفسهم، بل كان يلتمسون من الكنيسة أن تقبل عطاياهم. هذا ما كشفه القديس بولس عندما تكلم عن المكدونيين "لأنهم أعطوا حسب الطاقة، أنا أشهد وفوق الطاقة من تلقاء أنفسهم. ملتمسين منا بطلبة كثيرة أن نقبل النعمة، وشركة الخدمة التى للقديسين"... أما السر فى ذلك، فيكشفه الرسول فى الآية التالية مباشرة، فيقول إنهم سبق وأعطوا أنفسهم أولاً للرب (2 كو 8: 1- 5). ولا شك أن هذه هى مفاعيل النعمة.

(د) إن الحادث المحزن الذى تخلل هذه الروح الرائعة - ونعنى به موت حنانيا وسفيرة بالصورة التى ماتا عليها- لم يكن عقاباً إلهياً لهما لإحتجازهما جزء من ثمن الحقل، بل لأنهما كذبا على روح الله "لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس... أليس وهو باق كان يبقى لك. ولما بيع ألم يكن فى سلطانك... أنت لم تكذب على الناس بل على الله" (أع 5: 1-10)... هكذا لم يكن قصد الله من هذه التجربة إرهاب الأغنياء، إنما تأكيد حضوره وسط شعبه وإبراز لأهمية الفضيلة، وأنه فاحص القلوب وعالم بالخفايا.

(هـ) إن عبارة " لم يكن فيهم أحد محتاجاً"، هى تطبيق لما جاء فى (تث 15: 4)، وهى صورة مثالية لمستقبل الكنيسة - إسرائيل الجديد. وكأن حالة الكنيسة فى أورشليم إنما هو إتمام لتلك النبوة القديمة(129).

أما ملامح هذا التنظيم المالى، فكانت كالآتى:

(أ) كانت جميع التقدمات وأثمان المبيعات يأتى بها أصحابها" ويضعونها عند أرجل الرسل، فكان يوزع على كل أحد كما يكون له إحتياج" (أع4: 34،35)... ومعنى هذا أنه كان هناك صندوق عام تحفظ فيه كل التقدمات. ولعل الرسل أخذوا هذا التنظيم عن معلمهم نفسه(130). فنحن نعلم مما أورده القديس يوحنا فى إنجيله، أنه كان هناك صندوق للجماعة فى عهدة يهوذا الإسخريوطى (يو 12: 6). وكان الغرض من هذا الصندوق أن ينفق على الجماعة ويعطى للفقراء " لان قوماً، إذ كان الصندوق مع يهوذا، ظنوا أن يسوع قال له اشتر ما نحتاج إليه للعيد، أو أن يعطى شيئاً للفقراء" (يو 29:13).

(ب) كان المتحاجون يأخذون المعونات من الكنيسة وليس من الأفراد. ولا شك أن هذه طريقة كريمة تحفظ للفقراء كرامتهم كبشر وكأعضاء فى الكنيسة، فضلاً عن ضبط عملية الإحسانات ذاتها. يقول القديس يوحنا الذهبى فمه: [لم يعط الأثرياء المحتاجين فى أيديهم، ولم يقدموا تقدماتهم بتفاخر، لكنهم وضعوها عند أقدام الرسل، وتركوها للمدبرين، وأصبح مالاً عاماً، حتى يسدوا فيما بعد الإحتياجات، ليس من أموال خاصة بل من مال الجماعة](131).

(جـ) ليس لغير حكمة ذكر سفر الأعمال أن أموال التقدمات كانت " توضع عند أرجل الرسل" (أع 4: 34)... فلا شك أن هذا يوضح نظرة الآباء الرسل للمال... إنه

---

(129) Weiss;Earliest Christianity,p.69

(130) smith, Dictionary of the Bible,vol.1,part 2.p.1832

(131) Commentary on the Acts of the Apostles, Homily 11(N.P.N.F.p.73

دائماً عند أرجلهم، كناية عن أن شهوة المال لا تسود عليهم... ألا يتمشى هذا التعبير- بما يحمله من مفهوم روحى- مع ما اشترطه مار بولس فى الأسقف " ألا يكون طامعاً بالربح القبيح... ولا محباً للمال " (1 تى 3: 3). ثم ألا تفسرها كلمات مار بطرس للكهنة فى رسالته " إرعوا رعية الله التى بينكم... لا لربح قبيح بل بنشاط. ولا كمَنْ يتسلط على ميراث الله، بل صائرين أمثلة للرعية " (1بط 5: 2،3)...؟

(د) كانت الكنائس الأخرى تعاون فى سد إحتياجات الكنيسة الأم فى أورشليم، إحساساً منها بأنها مدينة لها بالإيمان (132) " لأنه إن كان الأمم قد إشتركوا فى روحياتهم، يجب عليهم أن يخدموهم فى الجسديات أيضاً " (رو 15: 27)... فقد حمل القديس بولس تقدمات كنائسه الأممية عدة مرات إلى أورشليم. وحينما أعطوه الرسل يمين الشركة مع برنابا، أوصوهما بأن يذكرا فقراء أورشليم(133)... وقد غدا هذا تقليداً ثابتاً فى الكنائس(134).

(هـ) يبدو أنه كانت هناك سجلات منظمة تسجل فيها أسماء الذين يستحقون ويتقاضون الإعانات المالية. ففيما يختص بالأرامل، يقول بولس الرسول: " لتكتتب أرملة إن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة، امرأة رجل واحد .." (1تى 5: 9). والكلمة اليونانية التى تترجم " تكتتب " هى Katalego، ومعناها [يختار ويكتب فى سجل أو قائمة](135)... وهذا يلقى ضوءاً على ناحية من نواحى التنظيم فى الكنيسة الأولى.

هكذا كانت الكنيسة الأولى، وهى مازالت فى طور طفولتها من جهة عمرها الزمنى- لكن فى إكتمال رجولتها الروحية- تؤدى بالرعاية الإجتماعية لشعبها وأعضائها على خير وجه، بدقة متناهية، وبصورة كريمة لا تهدر شخصية الفقير ولا تؤذى شعوره، وفى إعتناء كبير بمَنْ دعاهم الرب إخوته ...

الرعاية الأدبية والروحية

ويمكن أن نلمس جهود الكنيسة فى هذا الميدان، حينما نستعرض النقاط التالية:

1 -الحياة الأدبية:

الكنيسة المسيحية الناشئة- وهى محاطة بكل غوايات الوثنية وشرورها ومفاسدها- كان عليها أن تسهر دائماً. وكانت هذه هى وصية سيدها ومعلمها دائماً(136)... وتعكس لنا بعض رسائل القديس بولس صوراً لفساد العالم الوثنى القديم، كما تحمل لنا فى أسى، إشارات إلى أن العالم كان أقوى من بعض حديثى الإيمان، وإستطاع أن يستردهم ويطويهم فى لججه... ومن أمثلتهم ديماس الذى " أحب العالم

---

(132) يضاف إلى ذلك نقطة أخرى، وهى أن اليهود المتنصرين فى أورشليم تحملوا عبء إضطهادات كثيرة من بني جلدتهم اليهود وسُلبت أموالهم وممتلكاتهم، أى أنهم قد ضيروا كثيراً بسبب إيمانهم بالرب (انظر: 1تس 2: 14؛عب 10: 34).

(133) نظر: أع 11: 30؛24: 17؛غل 2: 10.

(134) انظر: رو 15: 26؛1كو 16: 1- 4.

(135) Wuest;The Pastoral Epistles,p.82

(136) 1 نظر: مت 24: 42؛ 25: 13؛ مر 13: 35؛ لو 12: 37؛ 21: 36؛ 1 كو 16 : 13؛1 تس 5 : 6؛1 بط 5 :8؛رؤ3: 2 ؛ رؤ 16: 15.

الحاضر" (2 تى 4: 10)، وأولئك الذين أشار إليهم بولس فى حزن لأنهم صاروا " أعداء صليب المسيح" (فى 3: 18).

كانت المعركة التى خاضتها الكنيسة ضد كل أنواع الفساد الخلقى "عبادة الأوثان، سحر، عداوة، خصام، غيرة، سخط، تحزب، شقاق، بدعة، حسد، قتل، سكر، بطر وأمثال هذه" (غل 5: 19)(137). **لكنها تركزت بالأكثر ضد خطايا الجسد** (138)، **التى قال عنها الرسول بولس " أعمال الجسد ظاهرة (واضحة أو معروفة) التى هى زنى، عهارة، نجاسة، دعارة "**(139) **(غل 19:5).**

ويكشف لنا تحذير القديس بولس المستمر من الوقوع فى خطايا الجسد، ما كان يمكن أن تحدثه هذه الخطايا فى نفوس البعض، نتيجة استعدادهم الخطير للارتداد الى غواية الخطية(140). **وكانت الكنيسة لا تتساهل مع الأعضاء الدنسين الذين فى وسطها، لأنها كانت تدرك تماماً، أنها لو سمحت بالإنحلال الخلقى والدعارة فسيتلاشي وجودها.**

ونلمس من كتابات القديس بولس أن الحياة الأدبية لم تكن إحدى جوانب المسيحية، بل كانت ثمرها وغايتها على الأرض " أما ثمر الروح فهو محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف... الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات " (غل 5: 22-24)... ويمكن القول بأن عمل الرسل الكرازى، كان عملاً روحياً أدبياً، يهدف إلى إنهاض الإحساس الأدبى وتقويته. وكانت الوصايا الأدبية لها دائماً المكانة الأولى.

وتنعكس هذ الأهمية من ثنايا كتابات الآباء الرسوليين، وآباء وعلماء القرن الثانى. ونلمس ذلك بوضوح فى الفصل الأول من رسالة كليمنضس الرومانى إلى كنيسة كورنثوس، وكتاب تعاليم الرسل Didache وخاتمة رسالة برنابا، وكتاب الراعى لهرماس، والمقالة المعنونة كليمنضس الثانية، والفصل الأخير من دفاع أرستيديز Aristides، كما أن يوستينوس الشهيد يركز فى دفاعه على أدبيات المسيحية، وأنها مرعية من المسيحيين(141).

ونلاحظ على هذه الكتابات أنها تتسم بأسلوب العنف والشدة. والسبب فى ذلك كما ذكرنا، أن بقاء المسيحية كديانة روحية، كان مرتبطاً بمبادئها التى قدمتها للعالم... وكان دفاع المدافعين المسيحيين منصباً على دفع شبهات الفساد الخلقى الذى حاول أعداء المسيحية أن يلصقوه بها. والعقوبة القاسية التى أوقعها القديس بولس على

---

(137) **انظر أيضاً: كو 3: 8، 9.**

(138) **كان الامتناع عن الزنا هو أحد قرارات مجمع أورشليم (أع 15)**

(139) **يقصد بالزنى تدنيس مضجع الزوجية بسبب الإتصال الجنسى المحرم من جانب شخص متزوج. واستعملت أصلاً للتعبير عن الغش خاصة غش العملة. ويقصد بالعهارة الاتصال الجنسي بين أشخاص غير متزوجين أو بين متزوج وغير متزوج. والنجاسة باليونانية هى akatharsia وتعنى الدنس الجسدى أو عدم الطهارة الجسدية. أما الدعارة فهى ترجمة للكلمة اليونانية aselgeia التى تشير إلى الشهوة الشديدة المشتعلة المحرمة وعدم ضبط النفس. انظر (1تس 4: 1 - 8 ؛1 بط 4: 3- 5؛ 2 بط 2: 5- 10؛يه 7) انظر أيضاً : Missionary Methods,p.149.**

(140) **انظر 1 كو 6: 15- 20 ؛ كو 3: 5- 7**

(141) **Harnack, Missions ..p.206-208**

الشاب الزانى بالمحارم فى كورنثوس (1كو 5)، لم تكن حادثة فريدة. فقد كانت الكنيسة تطرد وتقطع من شركتها، مرتكبى هذه الخطايا الشنيعة(141).

كان الارتباط بزوجة واحدة فى الجماعات المسيحية، هو العلاقة الشرعية الوحيدة المسموح بها بين الجنسين. وكان الزواج الثانى (بعد الترمل) غير مستحب، وبسببه كثرت المناقشات فى القرن الثانى، هل يسمح بالزواج الثانى أم لا. ولا شك أن هذا الموضوع يتصل إتصالاً وثيقاً بموقف الكنيسة من الشهوات الجسدية، ونظرتها لحياة العفة ومفهومها. ويتصل بهذا الموضوع أيضاً تحريم الإجهاض تحريماً باتاً، وتعريض الأطفال للموت(141).

كانت مهمة الكنيسة كبيرة وخطيرة وشاقة. فقد كان عليها أن ترعى دائماً ـ بنفس ساهرة وعين لا تنعس ـ أعضاءها المبعثرين هنا وهناك فى أنحاء المسكونة، وسط غالبية وثنية ساحقة، وفساد متأصل. وبفضل جهود الكرازة والخدمة التى قام بها خدام أمناء ورعاة ملتهبون من أمثال بولس الرسول وغيره من الكارزين، ومؤازرة روح الله وعمله فى المخدومين، نمت أدبيات المسيحيين وروحياتهم فى ذلك العصر إلى درجة كبيرة من الطهارة والتقوى والقداسة. وإتسمت مسيحية الكنيسة الأولى بكل جمال خليقة الله الجديدة. وكان لذلك أثر عظيم فى إنتشار الإيمان بصورة مذهلة... فقد أحب العالم القداسة، وآمن بأفضليتها، حينما رأوا أناساً قديسين(142).

<u>2ـ السلطان الكنسى:</u>

هذه الكنيسة التى أقتناها الله بدمه، كان لابد لها من سلطان عال يرعى كيانها ويحفظه، ويدبر أمورها الداخلية ويسوسها... هذا هو ما نسميه بسلطان الكنيسة... وقد إنتقل هذا السلطان إليها من الرب نفسه. الذى قال لرسله القديسين قبيل صعوده إلى السماء " دفع إلىّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى إنقضاء الدهر" (مت 28: 18-20)... وقد تقلد الرسل هذا السلطان أيضاً حينما قال لهم: " وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار. الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربرطاً في السماء. وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء" (مت 18: 17، 18)... بل لقد جعل الرب يسوع صوت الكنيسة كصوت الله نفسه " الذى يسمع منكم يسمع منى " (لو 10 : 16)...

وحيث أن الكنيسة مؤسسة روحية، فسلطانها سلطان روحى خالص... ولم تحاول كنيسة الرسل أن تخرج عن هذا النطاق، أو تدعى لنفسها سلطاناً زمنياً، أياً كان نوعه... فمملكة المسيح مملكة روحية ليست من هذا العالم... فى هذا الدهر يملك المسيح على القلوب، وفى الدهر الآتى مملكته فى السماء... وقد استخدمت كنيسة

---

(142) **De pressensé ,vol.1,pp.395.396**

الرسل هذا السلطان الإلهى المعطى لها كسياج للحفاظ على حياة المؤمنين الروحية والأدبية، ولصون الإيمان الأرثوذكسى، وكل ما يتصل بنظام الكنيسة وعبادتها سليماً... ولقد مارس الآباء الرسل هذا السلطان الإلهى فى هذه الأغراض وأشباهها:

+ تكلم القديس بولس عن هذا السلطان الإلهى فقال "فإنى وإن افتخرت شيئاً أكثر بسلطاننا الذى أعطانا إياه الرب لبنيانكم لا لهدمكم لا أخجل، لئلا أظهر كانى أخيفكم بالرسائل " (2 كو 10: 8، 9). وقال أيضاً " لذلك أكتب بهذا وأنا غائب لكى لا أستعمل جزماً وأنا حاضر حسب السلطان الذى أعطانى إياه الرب، للبنيان لا للهدم " (2 كو 13: 10).

وفى كلا القولين نلاحظ أمراً هاماً، وهو أن هذا السلطان الإلهى الذى أعطى للكنيسة فى شخص الرسل، يهدف بالدرجة الأولى للبنيان لا للهدم، لبنيان المؤمنين لا لهدمهم. وقد تناولت قوانين الرسل هذا الموضوع بإسهاب، ووضعت تحت طائلة العقاب الإلهى كل مَنْ يستخدم هذا السلطان إستخداماً مغرضاً...

+ وكمثال لسلطان الكنيسة للمحافظة على حياة المؤمنين الروحية والأدبية، موقف القديس بولس إزاء الشاب الذى إرتكب زنا بالمحارم فى كورنثوس... قال: " فإنى أنا كأنى غائب بالجسد، ولكن حاضر بالروح قد حكمت كأنى حاضر فى الذى فعل هذا هكذا، باسم ربنا يسوع المسيح إذ أنتم وروحى مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكى تخلص الروح فى يوم الرب يسوع " (1 كو5: 3- 5)... ومرة ثانية يكتب لكنيسة كورنثوس... "هذه المرة الثالثة آتى إليكم. على فم شاهدين وثلاثة تقوم كل كلمة. قد سبقت فقلت، وأسبق فأقول كما وأنا حاضر المرة الثانية، وأنا غائب الآن أكتب للذين أخطاوا من قبل ولجميع الباقين أنى إذا جئت أيضاً لا أشفق " (2 كو 13: 1،2).

+ وكمثال لسلطان الكنيسة للحفاظ على الإيمان الأرثوذكسي، ما قاله معلمنا بولس لكنيسة غلاطية..." ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيماً (محروماً). كما سبق فقلنا أقول الآن وأيضاً إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيماً (محروماً)، (غل 1: 8،9) (143)**... وبعد أن عرض الرسول للذين يعلمون تعليماً خاطئاً، قال " الذين منهم هيمينايس، والاسكندر اللذان أسلمتهما للشيطان لكى يؤدبا حتى لا يجدفا" (1تى 1: 20)... وقال القديس يوحنا الرسول فى رسالته الثانية " إن كان أحد يأتيكم ولا يجىء بهذا التعليم فلا تقبلوه فى البيت ولا تقولوا له سلام. لأن مَنْ يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة " (2 يو 10).**

+ وكمثال لسلطان الكنيسة للمحافظة على نظام الكنيسة وعبادتها، ما قاله معلمنا بولس لكنيسة كورنثوس " كما دعا الرب كل واحد هكذا ليسلك، وهكذا أنا آمر فى جميع الكنائس " (1 كو 7: 17)... " ولكن إن كان أحد يظهر أنه يحب الخصام فليس لنا نحن عادة مثل هذه ولا لكنائس الله " (1كو 11: 16)... ويقول

---

(143) **see :John chysostom;Commentary on Galatians (N.P.N.F.,p.8)**

للتسالونيكيين " ثم نوصيكم أيها الإخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذى أخذه منا... وإن كان أحد لا يطيع كلامنا بالرسالة فسموا هذا ولا تخالطوه لكى يخجل" (2 تس 3:6،14).

3- التأديبات الكنسية:

مارست كنيسة الرسل، سلطانها المعطى لها من الله، لبنيان نفوس أعضائها، فأوقعت على بعض المنحرفين والخطاة بعض تأديبات خاصة بقصد تقويمهم فى الفضيلة وتهذيب نفوسهم وتدريبهم على التقوى(144)... والتأديبات الكنسية ليست قصاصاً أو عقاباً يكفر عن خطية الإنسان. فالخطية لا يكفر عنها سوى دم المسيح وحده، أما هذه التأديبات فهى- كما قلنا- للتقويم والتهذيب، وفى بعض الحالات لدرء خطر أو ضرر يمكن أن يحدث...

إن الكنيسة فى هذه الحالة كالطبيب الذى يعالج مرضاه، كلا حسب حالته... فهو يعالج البعض بالأدوية مرة المذاق، وينصح البعض بالتزام الراحة التامة، والبعض الآخر تستدعى حالتهم عزلهم عن الأصحاء، ونهى الأصحاء عن مخالطتهم حتى لا تنتقل العدوى إليهم... لكن إذا كان المرض خطيراً جداً ولا سبيل إلى البرء منه، ويُخشى من إمتداد المرض إلى باقى الأعضاء، فقد كانت الكنيسة - فى حزن وألم- تقطع العضو من شركتها، على نحو ما يفعل الطبيب الذى تضطره حالة المريض إلى أن يبتر عضواً من أعضاء جسمه.

لكن نلاحظ فيما وصل الينا من كتابات العهد الجديد أو قوانين الرسل، إن هذه التأديبات الكنسية كانت تتسم بروح المحبة والحنو والرحمة وطول الروح، وتستهدف، بالفعل بنيان المؤمنين، لا هدمهم (2 كو 10 :9؛ 13: 10). ولا شك أن الكنيسة قد تسلمت هذه الروح من الرب يسوع الذى أظهر ملء الحنان والحب والشفقة فى معاملته للخطاة، وفى اقتيادهم إلى التوبة...

فالشاب الذى إرتكب خطية زنا بالمحارم فى كورنثوس - بعد أن قدم ثمار توبته، كتب معلمنا بولس إلى الكنيسة يقول: " مثل هذا يكفيه هذا القصاص الذى من الأكثرين حتى تكونوا بالعكس تسامحونه بالحرى وتعزونه لئلا يبتلع مثل هذا من الحزن المفرط. لذلك أطلب أن تمكنوا له المحبة" (2 كو 2: 6-8). ويكتب إلى كنيسة تسالونيكى يقول: " إن كان أحد لا يطيع كلامنا بالرسالة، فسموا هذا ولا تخالطوه لكى يخجل. ولكن لا تحسبوه كعدو بل انذوره كأخ " (2 تس 3: 14).

وقد أفاض الآباء الرسل فى الكلام عن معاملة الخطاة بالحنو والرفق والرحمة والعدل... وقد حذروا الأسقف من القسوة والصرامة وتعالى القلب ونصحوه بالتريث وعدم الاسراع فى الحكم. واعتبروا عقوبة القطع من شركة الكنيسة جريمة قتل،

---

(144) Lietzmann ,A History of the Early Church,pp.137.,138

موسهيم، تاريخ الكنيسة المسيحية ك 1، ق 2، ف 3 عن القرن الأول ص 39.

وتبديداً لشعب الله(145).

وكانت هذه التأديبات الكنسية تتدرج وتتفاوت فى نوعها حسب الخطأ الذى إرتكبه الشخص. وأقصى عقوبة كانت هى الفرز من الكنيسة... لكن حتى في هذه الحالة كان الهدف هو أن يخجل الخاطىء ويحس بما إرتكبه... "لا تحسبوه كعدو، بل انذروه كأخ ".

الرعاية والتعليم

كان التعليم يمثل قطاعاً متميزاً فى الرعاية فى حياة الكنيسة الأولى. فلقد كانت وصية الرب لرسله قبيل صعوده، أن يذهبوا ويتلمذوا جميع الأمم، ويعمدوهم ويعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصى به (مت 28: 18-20). وقبل أن يأمرهم بالذهاب والتعليم، أعطاهم سلطاناً" دفع إلىَّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض "... هذا السلطان هو سلطان التعليم... ليس لكل إنسان أن يعلم، بل للذين أعطى لهم. لقد وجد كثير من المعلمين فى زمان السيد المسيح، لكنه إختلف عنهم، إذ كان يعلم " كمَنْ له سلطان وليس كالكتبة "... وموهبة التعليم هى إحدى مواهب الروح القدس...

وربما احتاجت الكنيسة الأولى إلى التعليم أكثر من أى زمان آخر... فالمؤمنون الجدد كانوا فى حاجة إلى ثبات فى الإيمان مقابل أعدائهم الذين كانوا يثيرون عليهم أتعاباً، وكانوا فى حاجة إلى معرفة عقلية عقيدية عن هذه الديانة الجديدة، وعن كل ما يتعلق بها... خصوصاً وأن الديانة المسيحية تختلف عن الديانات الأخرى إختلافاً جوهرياً، وهى أنها حياة، وليست مجموعة فرائض وطقوس شكلية خارجية...

لقد وقعت مسئولية التعليم بأكملها على الرسل فى بداية الأمر، حيث هم وحدهم الذين جلسوا تحت قدمى الرب يسوع وتلقنوا منه. ونلاحظ أنهم أعطوا التعليم أهمية كبرى عما سواه من المسئوليات... فقد رفضوا أن يتركوا كلمة الله ليخدموا الموائد (أع 6: 2)... وليس أدل على الإهتمام بالتعليم من الشرط الأساسى الذى إشترطوه فى الأسقف " أن يكون صالحاً للتعليم "(146). **وما لبثت أن إزدادت الحاجة إلى المعلمين والتعليم بانتشار الإيمان المسيحى، واصطدامه باليهودية ممثلة فى اليهود واليهود المتنصرين والأبيونيين، وبالوثنية ممثلة فى الفلسفات الوثنية المختلفة... وكان لابد من علماء مسيحيين قادرين على رد هجمات هؤلاء وأولئك والا أصيبت المسيحية بنكسة...**

ونستطيع أن نميز فى كنيسة الرسل ثلاثة أنواع من التعليم(147). **نوع يختص**

---

(145) انظر الدسقولية الباب الرابع والخامس والثامن والعاشر- وانظر أيضا:
Apostolical constitutions,2.13-16,20,21,38-41.

(146) اللفظ اليوناني الذى يقابل " صالح للتعليم " هو didaktikon وهى تعنى - إلى جانب القدرة على التعليم- الحذق فيه، والاستعداد الشخصي له- انظر:
Wuest;The pastoral Epistles.pp.55,56 .

(147) Daniélou,vol.1,p.13

بتبشير غير المؤمنين وهو ما يسمى Kerygma، ونوع يعنى بتعليم الموعوظين قبل العماد وتعبر عنه الكلمة اليونانية Didache. ثم كان هناك وعظ وتعليم المؤمنين أنفسهم، وكان يهدف إلى الحث على الثبات فى الايمان والفضيلة، وهو ما يُعرف باسم Paraklésis (أع 14: 22؛ 15: 32).

بعض مبادئ مسيحية فى عصر الرسل

نعرض هنا لبعض المبادىء المسيحية التى حض عليها الآباء الرسل والتى ظهرت فى حياة الجماعة فى ذلك الوقت المبكر من تاريخها:

1- المحبة:

المحبة فى المسيحية هى الوصية الأولى والعظمى (مت 22: 38). وهى أعظم من الإيمان الذى ينقل الجبال ويقيم الموتى، وأعظم من الرجاء (1 كو 13: 13)، وهى غاية الوصية (1 تى 1: 5) وهى علامة التلمذة الحقة للمسيح (يو 13: 35). وهى تكميل الناموس الإلهى (يع 2: 8)، وهى أول ثمارالروح القدس (غل 5: 22)، بل هى الله نفسه " الله محبة " (1يو 4: 8)... ولم تكن هذه المحبة وقفاً على الأحباء، بل تعدتهم إلى الأعداء لتحولهم إلى أحباء (مت 5 : 44؛ رو 12: 20)... لا عجب إذن إن رأينا آثار هذه المحبة كوصية إلهية، تظهر بوضوح فى حياة الجماعة الأولى... ونستطيع أن نلمسها فى " النقاط التالية:

(أ) العطايا المادية:

المسيحيين الأوائل أظهروها في:

* العطاء والحسنات فى مجموعها. وبالاضافة إلى ما ورد فى أسفار العهد الجديد، فقد تكلم عنها بوضوح وتقدير كبير هرماس فى كتابه الراعى، وكليمنضس الرومانى فيما يعرف بالرسالة الثانية(148).

* إعالة المعلمين والخدام. فبالإضافة إلى مبدأ القديس بولس أن الفاعل مستحق أجرته، فقد أوصى به الآباء والرسل فى تعاليمهم وقوانينهم(149).

* إعالة الأرامل والأيتام.

* رعاية المرضى والعجزة والمقعدين وغير القادرين. ومنذ البداية كانت الكنيسة ترعى هؤلاء بذكرهم فى صلواتها وزيارات الخدام لهم، وسد إحتياجاتهم المادية(150).

* العناية بالمحبوسين. قال معلمنا بولس:" أذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم، والمذلين كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد" (عب 13: 3). ويقول هرماس " خلص خدام الله من قيودهم "... كان هناك محبوسون لأجل إيمانهم، وآخرون محبوسون وفاء لديون عليهم. وكان يجب افتقاد النوعين بالصدقة والمحبة. وكان الشمامسة يزورون فى السجون المحبوسين لأجل الإيمان يعزونهم ويشجعونهم ويقدمون لهم ما

---

(148) Harnack;pp.153-155

(149) Didache;chs.11,13;Harnack,Missions...,pp.158,159 ;Apostolical Constitution,2.15

(150) هذا واضح من رسالة " كليمنضس الروماني " وكتاب الراعي لهر ماس- انظر: Harnack,pp.160,161

يحتاجونه... وكان المؤمنون العلمانيون يظهرون أيضاً نفس المحبة(151).

* العناية بمَنْ تحل بهم الكوارث. وقد مدحت الكنيسة - منذ وقت مبكر- لأنها وقفت بنبل إزاء إختبار الاضطهاد والكوارث التى حلت بها (انظر عب 10: 32- 34).

* ضيافة الغرباء. ومنذ البداية أبرز الآباء الرسل أهمية إضافة الغرباء(152). ويذكر هرماس فى كتابه الراعى، ضيافة الغرباء ضمن قائمة الفضائل... ولعل أهمية هذه الفضيلة فى تاريخ الكنيسة المبكر يرجع إلى أنها- الكنيسة- كانت بلا أمكنة ثابتة. وكان الإخوة والخدام دائمى السفر والتنقل(153)... وفى رسائل ووثائق الكنيسة الأولى، نجد صلوات وتشفعات مقدمة من الكنيسة لأجل الغرباء والمعتنين بهم(154).

* العناية بالكنائس الفقيرة أو التى يحيق بها خطر. وهذا واضح فى سفر أعمال الرسل ورسائل القديس بولس... فقد كانت تجمع تقدمات لأجل فقراء أورشليم. وقد إهتم بولس بهذا الأمر، وجمع من كنائس أنطاكية وغلاطية ومقدونية وأخائية(155).

(ب) روح الإخوة:

مجدت المسيحية فكرة الانسانية، ووضعتها فوق القومية التى مزقت العالم القديم بمدلولها الحسى، وما أثارته من نعرات. ومن ثم، فقد قادت الناس إلى مشاعر أنبل نحو روح الإخوة... فهناك رابطة روحية متينة وعميقة وحية بين كل مَنْ هم شركاء فى نفس الايمان. وقد دعو بعضهم بعضا "إخوة" تاكيداً لهذه الحقيقة... هؤلاء الإخوة لهم قلب واحد ونفس واحدة (أف 4: 1-6). ويسلمون على بعضهم بعضاً بقبلة مقدسة(156)... لقد كان هناك منظر يثير دهشة اليهود والأمم، فيقولون: [انظروا كيف يحبون بعضهم بعضاً) ؟! وحينما كان أى مسيحى غريب يصل إلى أية مدينة، كان يقبل فيها كممثل لكنيسته. وكانوا(153) يقدمون له المسكن. وكانت الأرامل التقيات يغسلن قدميه وكان يعامل بكل ما يدل على المحبة الأخوية(157) لم يعد سكان اليهودية يتصورون أنهم أفضل من الجليليين، وهذان أفضل من الساكنين خارج الأراضى المقدسة، تلك الإمتيازات التى أنتقلت في بادئ الأمر مع اليهود المتنصرين إلى الكنيسة (أع 6: 1)... لم يعد لهذا الإحساس أى وجود. لقد غدا المؤمنون إخوة حقيقيين فى أسرة واحدة(158) .

إن إسفار العهد الجديد كلها بنصوصها فضلاً عن روحها، تؤكد هذا المفهوم. فالقديس يعقوب أخو الرب أسقف أورشليم يدعو المؤمنين إخوته فى مواضع عديدة من رسالته(159). وكذا القديس بولس فى أكثر من موضع من رسائله(160)... بل إن الرب

---

(151) Harnack, Mission..,pp.162,163

(152) انظر : رو 12: 13؛16: 1، 2؛ عب 6: 10؛13: 2، 1 بط 4: 9؛ 3 يو 5-8

(153) فى القرن الثانى وضع ميليتو Melito أسقف ساردس بآسيا الصغرى، كتاباً عن هذه الفضيلة.

(154) مازال آثر ذلك باقياً فى القداس الإلهى " بارك إكليل السنة بصلاحك من أجل فقراء شعبك. من أجل الأرملة واليتيم والغريب والضيف ".

(155) انظر: أع 11: 27 -30 ؛ 2كو 8: 1- 5؛ رو 15: 26 ؛ غل 2: 10.

(156) انظر: رو 16: 16؛ 1 كو 16: 20؛ 2 كو 13: 12، 1 تس 5 : 26؛1 بط 5-14

(157) fisher, p.568, De pressense, vol. 1, p. 394

(158) Hill,p.41

(159) يع 1 :2، 16، 19؛ 2: 1، 5، 14 ،15 ؛3 :1 ؛4 :11؛ 5: 7، 10، 12، 19

يسوع نفسه يدعو المؤمنين إخوته[161]

هكذا شعر المسيحيون أنهم إخوة متأثرين بأصلهم الواحد، ومصيرهم الواحد، وتمموا واجبهم المقدس بحفظ وحدانية الروح برباط السلام... وبينما اليهود بكبريائهم الروحى مقتوا جميع الأمم، واليونانيون احتقروا جميع المتبررين. وبينما الرومان بكل ما فيهم من قوة وسياسة، حولوا شعوبهم المقهورة إلى كتل آلية، كعملاق بلا روح ، إذ بالمسيحية- بواسطة وسائل أدبية خالصة - تؤسس إمبراطورية روحية مسكونية ، ومجتمع قديسين تربطهم روح اخوة واحدة، وهى تقف ثابتة حتى اليوم، وستمتد حتى تضم كل شعوب الارض كأعضاء حية فيها، وتصالحهم جميعاً مع الله.

ولا شك أن روح الاخوة هذه حملت معها معنى المساواة، فلا تفرقة عنصرين بسب لون أو جنس أو وطن... الجميع يتجهون إلى إله واحد، ويجلسون جنباً الى جنب على موائد الأغابى، ويقفون للصلاة فى الكنيسة متجاورين... "ليس يهودى ولا يونانى، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر وأنثى. لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع "، "حيث ليس يونانى ويهودى، ختان وغرلة، بربرى سكيثى، عبد حر، بل المسيح الكل وفى الكل" (غل 3: 28؛ كو 3: 11).

<u>2- الزهد فى العالم والعالميات:</u>

من الأمور الواضحة فى كتابات العهد الجديد نظرة المسيحية ومدى تقديرها للعالم والعالميات، ولا شك أن هذا يتمشى مع رسالة المسيحية كديانة... فالسيد المسيح حذر من كنور العالم (مت 6: 19)؛ ونعت بالغباوة الغنى الذى " يكنز لنفسه وليس هو غنياً لله " (لو 12: 21)، وعلم بأن دخول جمل من ثقب أبرة أيسر من دخول غنى إلى ملكوت السموات. وقد علم بأن يطلب الإنسان أولاً ملكوت الله وبره، أما الماديات فتزاد له (مت 6: 33)، لأنه " ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه " (مر 8: 36).

والآباء الرسل فى تعليمهم، حذروا المؤمنين من محبة العالم وكل ما فيه (1 يو 2: 15)، واعتبروها عداوة لله "من أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله" (يع 4: 4)... ونظروا للعالم على أنه غربة قصيرة، والإنسان غريب ونزيل فيه (1بط 1: 17؛ 2: 11). ويتساءل القديس يعقوب " ما هى حياتكم ؟ إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل" (يع 1: 14) .... والقديس بولس يؤكد هذا المفهوم فيقول: " إن سيرتنا [162] نحن هى فى السموات " (فى 3: 20)... " لأن ليس لنا هنا مدينة باقية، لكننا نطلب العتيدة" (عب 13: 14)... وتعاليم الآباء الرسل Didache، وهرماس فى كتابه " الراعى" مشحونة بالحماس لهذا الإتجاه...

وقد ساعد على الحماس لهذا الإتجاه إحساس المؤمنين فى العصر الرسولى بأن

---

[160] رو 9: 3 ؛ 12 :10 ؛ 16: 1

[161] انظر : مت 5: 22 ؛ 12،23 : 50 ؛ 25 : 40 ؛ مر3 : 35 ؛ لو 6: 41؛ يو 20: 17 ؛رو 8: 29؛ عب 2: 11 ، 12 ، 17

[162] الترجمة العربية لهذه الكلمة غير دقيقة. فهى باليونانية politeˆa ومعناها citizenship وبالقبطية metremmbaki والمقصود أن وطننا هو فى السماء.

مجىء المسيح الثانى قريب، بل إنه على الأبواب (فى 4: 5)... والقديس يوحنا فى رؤياه يؤكد هذا الإتجاه " لأن الوقت قريب " (رؤ 22: 10)؛ ويكرر فى رؤياه أكثر من مرة عبارة "ها أنا آتى سريعاً"(163).

3- وجوب العمل وقدسيته:

ليس للمسيحي الحق فى هجر العمل لأى سبب من الأسباب " فإننا أيضاً حين كنا عندكم أوصيناكم بهذا، أنه إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً. لأننا نسمع أن قوماً يسلكون بينكم بلا ترتيب، لا يشتغلون شيئاً بل هم فضوليون. فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم بربنا يسوع المسيح أن يشتغلوا بهدوء ويأكلوا خبز أنفسهم " (2 تس 3:10-12)...

فالعمل نفسه يستند إلى قانون إلهى منذ خلق العالم. فقد قال الرب لآدم بعد أن أخطأ " بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها" (تك 3: 19). كان معظم أعضاء الكنيسة الأولى من الطبقات الفقيرة والصناع الذين يعولون أنفسهم بعمل أيديهم، فكتب إليهم القديس بولس يقول: " وإنما أطلب إليكم أيها الإخوة أن... تشتغلوا بأيديكم أنتم كما أوصيناكم... ولا تكون لكم حاجة إلى أحد" (1تس 4: 10-12).

والرسول بولس فى كلامه السابق يحارب إتجاه الكسل والخمول. ورجال الدين أنفسهم الذين تخصصوا لخدمة الله ولا يشتغلون بالأعمال الدنيوية، يعملون أيضاً، لكن فى دائرة خدمة الله، ولذا فالناس مكلفون باعالتهم " تعلمون أن الذين يعملون فى الإشياء المقدسة من الهيكل يأكلون. الذين يلازمون المذبح يشاركون المذبح. هكذا أيضاً أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون " (1 كو 9: 13، 14)... ومع هذا التصريح، فإن الرسول نفسه- تقديساً لمبدأ العمل، وحتى ما يكون قدوة - لم يستعمل هذا الحق بل كان يعمل بيديه فى صناعة الخيام... "أما أنا فلم استعمل شيئاً من هذا. ولا كتبت هذا لكى يصير فىَّ هكذا. لأنه خير لى أن أموت من أن يعطل أحد فخرى"(1كو 9: 15)... " فضة أو ذهب أو لباس أحد لم أشته. أنتم تعلمون أن حاجاتى وحاجات الذين معى خدمتها هاتان اليدان " (أع 20: 33، 34).

والواقع أن المسيحية برفعها من قدر العمل اليدوى، مهدت الطريق الى واحد من أهم الإصلاحات التى أكملتها. لقد كان المجتمع القديم ينظر إلى الكد نظرة تحقير، وكانت الأعمال اليدوية يقوم بها العبيد المقهورون الكسالى. ولقد قلب هذا المبدأ نظرة الوثنية إلى العمل، رأساً على عقب... وقد أوصت تعاليم الرسل وقوانينهم المؤمنين بوجوب العمل(164).

4- طاعة السلطات الزمنية:

ليست المسيحية دين ودولة، لكنها تعلم بفصل الدين عن الدولة... " اعطوا ما

---

(163) رؤ 3: 11؛ 22: 7؛ 12، 20.

(164) Didache ,12; Apostolical Constitutions ,2.63; De préssensé.vol.,1.p, 387

لقيصر لقيصر، ومالله لله " (مت 22: 21؛ لو20: 25). فالمسيحية - كديانة- يمكنها أن تحيا وتنمو فى ظل أى نظام من أنظمة الحكم... والقديس بولس ينظر للدولة كنظام إلهى... " لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلا من الله، والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله حتى أن مَنْ يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة. فإن الحكام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل للشريرة. أفتريد أن لا تخاف السلطان أفعل الصلاح فيكون لك مدح منه، لأنه خادم الله للصلاح. ولكن إن فعلت الشر فخف، لأنه لا يحمل السيف عبثاً، إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذى يفعل الشر. لذلك يلزم أن يخضع له ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً بسبب الضمير" (رو 13: 1- 5)... وواضح أن الرسول هنا يرتفع بالحكومة الأرضية- على الرغم مما يحيط بها من فساد واضح أمام عينيه - إلى أصلها وفكرتها الأساسية، إنها نظام إلهى.

ويتضح هذا من وصيته لتلميذه الأسقف تيموثاوس "اطلب إول كل شىء أن تقام طلبات وصلوات وإبتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس. لأجل الملوك وجميع الذين هم فى منصب لكى نقضى حياة مطمئنة هادئة فى كل تقوى ووقار. لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله، (1تى 2: 1-3). وفى وصيته لتلميذه الأسقف تيطس يقول: "ذكرّهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين، ويطيعوا ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح. ولا يطعنوا فى أحد ويكونوا غير مخاصمين" (تى 3: 1،2)... ويؤكد مار بطرس نفس المعنى السابق فيقول فى رسالته "إخضعوا (165) لكل ترتيب بشرى من أجل الرب. إن كان للملك فكمَنْ هو فوق الكل. أو للولاة فكمرسلين منه للإنتقام من فاعلى الشر، وللمدح لفاعلى الخير" (1 بط 2: 13، 14).

ولدينا وثيقة قديمة من رسالة القديس كليمنضس الرومانى أسقف رومية وتلميذ الرسل (حوالى سنة 95 م) الى كنيسة كورنثوس تتضمن التوسل الآتى من أجل الحكام:

[اعط يارب ألفة وسلاماً لنا ولكل الساكنين على الأرض، كما أعطيت لأبائنا حينما سألوك بإيمان وحق مع قداسة حتى ما نخلص. وهبنا أن نكون طائعين لاسمك الكلى القدرة والعظمة، ولحكامنا والمتسلطين علينا على الأرض. أنت أيها السيد أعطيتهم قوة السيادة عن طريق قوتك العظيمة التى لا يعبر عنها، حتى نعرف المجد والكرامة اللذين أعطيتهما لهم، ونخضع لهم، دون أن نقاوم مشيئتك. هبهم يارب عافية وسلاماً ووفاقاً واستقراراً حتى ما يسوسوا الحكومة التى أعطيتها لهم بدون فشل. لأنك أنت أيها السيد السمائى الملك الأبدى، أعطيت لبنى البشر مجداً وكرامة وقوة فوق كل الأشياء الكائنة على الأرض. كن مرشداً لهم أيها الرب فيما هو صالح، وما يحسن فى عينيك، حتى يحكمون فى سلام، ولطف مع صلاح، بالقوة التى منحتها إياهم، ويجدون

---

(165) كلمة " اخضعوا " فى اليونانية Hupotasso، وهى لا تعنى مجرد الطاعة الشكلية المظهرية والخضوع للنظام، لكنها تعنى طاعة القلب داخلياً- انظر: Wuest ,first peter,pp.60,61

رحمة امامك] (166)...

وجدير بالملاحظة أن توسلات المسيحيين هذه قدموها لله لأجل حكامهم، إبان حكم الإمبراطور دومتيان الذى أثار إضطهاداً عنيفاً على الكنيسة... والقديس بوليكاربوس الشهيد فى رسالته إلى أهل فيلبى يقول [صلوا لأجل جميع القديسين صلوا أيضاً لأجل الملوك والحكام والأمراء، وعن الذين يضطهدونكم ويبغضونكم، وعن أعداء الصليب](167).

ذاك كان تعليم الكنيسة بخصوص الطاعة الواجبة على المسيحى نحو السلطات الحاكمة أياً كانت عادلة أو ظالمة، صالحة أو شريرة. وهى فى ذلك تسلك متشبهة بالسيد المسيح ذاته، الذى خضع فى الأمور الزمنية لهيرودس وبيلاطس، وأعطى قيصر ماله... إن المسيحية لا تعرف العصيان المسلح، فكما يقول القديس بولس: " أسلحة محاربتنا ليست جسدية، بل قادرة بالله على هدم حصون ".

لكن ينبغى ألاَّ ننسى أن تلك الطاعة لم تكن طاعة مطلقة فى كل ما يخص المواطن ويعنيه، بل هى طاعة تختص بواجباته المدنية كمواطن؛ دون أن تكون هكذا من حيث علاقته بإلهه... إذا تعارضت طاعته لله مع طاعته للدولة من جهة إيمانه وعقيدته، فإنه كان ينفذ تعليم الكنيسة " ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس " (أع 5: 21) وكان فى هذه الحالة مستعداً أن يجود بحياته مقابل إيمانه... ولهذا السبب استشهد كثيرون من أجل إيمانهم، وروت دماؤهم أرض المسكونة كلها، تمسكاً بالحرية المقدسة التى حررهم بها المسيح الإله. وكانت شهادتهم- كما يقول المؤرخ شاف schaff- بطولة أكثر نبلاً من المقاومة بالسيف والنار، وقادت فى النهاية إلى نصر دائم مبين (168).

5- التقاضى والمحاكمات:

من الأمور التى عالجها القديس بولس موضوع التقاضى والمحاكمات. ونقصد هنا المحاكمات الخاصة بالأمور المدنية. إنه يستنكر بشدة الإلتجاء إلى المحاكم المدنية والوثنية، ويحث المؤمنين على الإلتجاء إلى السلطات الكنسية لفض المنازعات. ويقول لأهل كورنثوس " أيتجاسر منكم أحد له دعوى على آخر، أن يحاكم عند الظالمين وليس عند القديسين. ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم. فإن كان العالم يدان بكم، أفأنتم غير مستأهلين للمحاكم الصغرى. ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة، فبالأولى أمور هذه الحياة. فإن كان لكم محاكم فى أمور هذه الحياة، فاجلسوا المحتقرين فى الكنيسة قضاة " (1 كو 6: 1-8).

كانت التقاليد اليهودية تقضى بأن يتقاضى اليهود المؤمنون أمام مجامعهم اليهودية... لكن القديس بولس لم يورد إشارة إلى ذلك، بل إكتفى فى تبريره لهذا

---

(166) Clement of Rome, Epistle to the Corinthian,chs 60,61

(167) Polycarp, Epistle to the philipians,12.

(168) sachaff ,vol.1.p.507.

التعليم، بإظهار سمو المسيحى الذى يؤهله لمحاكم العالم الصغرى (169) أما الحكمة التى تكمن وراء هذا المبدأ، فهى أن المتقاضين الذين يلجأون للقديسين فى الكنيسة، لابد وأن إشكالاتهم ستحل حلاً مرضياً يرشد إليه روح الله الساكن فى أولئك القديسين، وفي هذا تدعيم لروح الأخوة المسيحية... أما المحاكم الوثنية، فهى لا يعنيها- فى قليل أو كثير- الإبقاء على روح المحبة والأخوة بين المتنازعين... والحق أن البراهين التى أوردها بولس على وجوب الإحتكام إلى القديسين فى الكنيسة، تكشف لنا الدور الخطير الذى لكنيسة المسيح فى العالم...

ودعمت قوانين الآباء الرسل مبدأ تقاضى المؤمنين أمام المحاكم الكنسية، وأفاضت فيه... تكلمت عن دور الأسقف ومعاونيه فى المحاكمات، والأيام التى تعقد فيها هذه المحاكمات، والصفات التى يجب أن يتصف بها الأسقف، والشهود فى هذه المحاكمات(170).

6- أكل لحم ضحايا الأوثان:

ثمة موضوع حساس أثارته ظروف المسيحيين فى العصر الرسولى.. هذا الموضوع هو علاقة المسيحيين بمواطنيهم وأصدقائهم الوثنيين... هل يجوز لهم أن يشاركوهم فى أعيادهم التى تقام فى الهياكل الوثنية أو فيما له مساس بالعبادة الوثنية، وهل يجوز لهم أن يأكلوا من لحوم الضحايا التى تقدم للأوثان؟

وعلى الرغم من صدور قرار من مجمع أورشليم بالامتناع عما ذُبح للأصنام (أع 15 : 29)، وتحذير موجه من الرب إلى كنيستى برغامس وثياتيرا لأن بها من يأكلون ما ذُبح للآوثان (رؤ 2: 14، 20)، إلا أننا نجد الرسول بولس يحل هذا الموضوع بطريقة عجيبة، تدل على إنفتاح الذهن، وسيادة الروح على الحرف. وهو يصل إلى ما وصل إليه عن طريق البرهان العقلى، والدليل الروحى:

(أ) صرح لهم بأكل كل ما يباع فى الملحمة (سوق اللحم) بدون فحص (1كو 10:25).

(ب) صرح لهم بتلبية دعوة أصدقائهم الوثنيين، وأكل ما يقدم لهم بدون فحص. لكن إذا نبههم أحد إلى أن اللحم الذى يأكلون منه مذبوح للأوثان، فيجب عليهم فى هذه الحالة أن يمتنعوا عن الأكل، لعدم إعثار ذوى الضائر الضعيفة (1كو 10: 27-29).

(جـ) نهى نهياً قاطعاً عن الإشتراك فى الإحتفالات التى تقام فى الهياكل الوثنية وتناول أى طعام فيها... لقد اعتبر الرسول أن تقدمات الوثنيين فى هذه الحالة مقدمة للشياطين. واعتبر كل مَنْ يأكل أو يشرب من هذه التقدمات هو شريك الشياطين، على نحو ما يجعلنا الإشتراك فى جسد المسيح ودمه واحداً معه. ولا شك أن الرسول كان يخشى مما يمكن أن تحدثه هذه الإحتفالات بما تحويه من مجون فى بعض الأماكن

---

(169) Leitzmann,p..138;Fisher,pp.571,572

(170) Apostolical Constitutions,2.46-53,(A.N.F.,p.417-419)

والمعابد، وما يضيفه الجو الوثنى العام، من ضعف البعض وإرتدادهم إلى الوثنية، وخاصة وقد كانوا مايزالون حديثى عهد بالإيمان، إلى جانب ما يمكن أن يحدثه هذا التصرف من عثرات لبعض ذوى الضمائر الحساسة. لذا ينصحهم الرسول بالهروب من عبادة الأوثان. ونلاحظ أنه نفس التعبير الذى يستخدمه فيما يختص بالزنى، ولعل هذا يوضح لنا مدى تأثير الوثنية على الناس فى ذلك الوقت (1كو 10: 14- 21).

على إننا نرى أنه من المفيد أن نعرض بعض الجوانب التى راعاها الرسول فى حل هذه المشكلة الحساسة. وتتلخص فى أنه لا يكفى لتنفيذ أمر ما، إقتناع الإنسان بأنه على صواب، وإرتياح ضميره له، غير مبال بعثرة الآخرين.

+ فكنيسة المسيح تضم أعضاء مختلفين من جهة مستوياتهم فى المعرفة... فالبعض على جانب من المعرفة تؤهلهم إلى الإستخفاف بالأوثان، واعتبارها لا شىء ويؤمنون أنه " ليس وثن فى العالم، وأن ليس إله آخر إلاّ واحد" (1 كو 8: 4)... لكن إلى جانب هؤلاء، يوجد فريق من البسطاء تعوزهم هذه المعرفة، لأنه " ليس العلم فى الجميع " (1كو 8: 7)... ومثل هؤلاء تتعب ضمائرهم إزاء الموضوع الذى نحن بصدده، وينبغى عدم تجاهلهم لأن مَنْ لا يبالى بذوى الضمائر الضعيفة يخطىء إلى المسيح (1كو 8: 12).

+ على الرغم من إبراز الرسول لفكرة أن " الطعام لا يقدمنا إلى الله، لأننا ان أكلنا لا نزيد، وان لم نأكل لا ننقص" (1 كو 8: 8)... وأنه لا ينجسنا لأن " ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان "(مت 15: 11)،... فإنه يقول " انظروا لئلا يصير سلطانكم هذا معثرة للضعفاء "(1كو 9:8).

+ ويخلص القديس بولس من هذا الموضوع بمبادىء عامة سامية، تدل على أنه لا يفكر فى ذاته بل فى الآخرين، ولا يعيش لنفسه بل لهم... وهذه المبادىء هى للتنفيذ فى كافة المجالات والأوضاع:

"كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء توافق"

"كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء تبنى"

"لا يطلب أحد ما هو لنفسه، بل كل واحد ما هو للآخر" (1كو 10: 23، 24)

وهو فى سبيل تحقيق هذه المبادىء، ومن أجل محبته لإخوته، الذين مات المسيح لأجلهم، مستعد أن يحرم نفسه من أكل اللحم إلى الأبد" لذلك إن كان طعام يعثر أخى، فلن آكل لحماً إلى الأبد لئلا أعثر أخى " (1 كو 13:8).

وقد صارت تعليمات القديس بولس فى هذا الأمر هادية للكنيسة كلها فى ذلك العصر المبكر. ونجد تأكيداً لذلك فى تعاليم الآباء الرسل، وفى حوار يوستينوس الشهيد مع تريفو اليهودي (171).

أسماء المومنين

لقد دعا الرب يسوع أولئك الذين تجمعوا حوله "تلاميذاً" ودعى هو ذاته "

---

(171) Didache ,6.3 Justin Martyr,Dialogue,34,8.35.1.Leitzmann,p.139

معلماً "... ولقب معلم وتلاميذ لم يكن غريباً عن تلك البيئة. فقد عرف أتباع يوحنا المعمدان باسم "تلاميذ يوحنا"(172). كانت علاقة الرب يسوع بتلاميذه خلال حياته فى الجسد، علاقة المعلم بتلاميذه. أما إيمانهم به على أنه المسيا، فقد ظل سراً غير واضح إلى ما بعد قيامته.

وبعد قيامة الرب يسوع من بين الأموات، وحلول الروح القدس، شهد تلاميذه علانية أنه هو المسيا، واستمروا يدعون أنفسهم "تلاميذ".. على أن التسمية تلاميذ لم تكن قاصرة على الرسل الإثنى عشر، بل أطلقت على جميع أعضاء الكنيسة الأولى، الذكور والإناث(173). وقد شاعت هذه التسمية على وجه الخصوص بين مسيحيى فلسطين(174).

ويتضح لنا من دراسة سفر أعمال الرسل ورسائلهم، أن هناك ثلاث تسميات شاعت فى العصر الرسولى وما بعده، دعى بها المسيحيون... وهذه التسميات هى: مؤمنون وقديسون وإخوة... وهى تعبر عن حياة أولئك المسيحيين الأوائل(175).

+ فتسمية " مؤمنين "(176)، كانت تعبر عن إيمانهم الجديد الذى إقتبلوه، وحياة الإيمان التى يحيونها، حية فى أشخاصهم وفي سلوكهم...

+ أما تسمية " قديسين" فكانت تعبر عن حياتهم وعلاقتهم بالله... فقد تقدسوا فى الله وله بالروح القدس، وكانوا فى حياتهم فى قداسة حقيقية كشركاء للمجد العتيد. إن كلمة قديسين باليونانية هى hagios، والفعل منها hagiazo ومعناه " يفرز ويكرز لأجل الله "... وهكذا فإن لفظ " قديس " تعنى مسيحى مفرز ومكرس لأجل الله... لم تكن تسمية " قديسين " مجرد تسمية لكنها كانت تعبيراً عن واقع قدسي روحانى يحياه المسيحيون... كانوا يشعرون أنهم للرب وليسوا لسواه، كشئ مكرس ومقدس، لا يستخدم الأ للشيء الذى كرس له وقدس لأجله. وتقابلنا هذه التسمية كثيراً فى سفر الأعمال ورسائل الآباء الرسل(177)...

إن لفظ " قديسين " فى مفهونا الحالى لا يطلق إلأ على من انتقلوا إلى العالم الآخر، وعاشوا حياة القداسة على الأرض. أما فى عصر الرسل فكانت تطلق على أعضاء الكنيسة الأحياء... ظلت هذه التسمية شائعة، يطلقها المسيحيون على بعضهم بعضاً حتى ما بعد منتصف القرن الثانى، لكن ما لبثت أن إختفت تدريجيا بعد ذلك، إذ لم يعد للمسيحيين الشجاعة على دعوة أنفسهم " قديسين " بعد أن بدأت تظهر عليهم أعراض الضعف الروحى وبدأت تأثيرات العالم تاخذ طريقها إليهم(178).

+ وإذا كانت التسمية " مؤمنين وقديسين "، هى تعبير عن علاقتهم بالله،

---

(172) انظر: مت 9: 14؛ لو 11: 1؛ يو 1: 35؛ 3: 25

(173) نظر: أع 9: 1، 10 , 25، 26، 36 ؛11: 26 ؛ 13: 52، 14: 20، 21، 22, 28 ؛15 :10؛ 16 : 1

(174) أطلق اليهود فى بداية الأمر على مواطنيهم المرتدين (المسيحيين) بعض تسميات مثل "ناصريين " وجليليين " (أع1: 11، 2:7). لكن هذه التسميات لم تنتشر إلأ فى دوائر ضيقة "، واستخدمت غالبا للتحقير.

(175) Harnack ,Missions...pp.399-404

(176) انظر: أع 5: 14؛16: 1 ؛ أف 1: 1؛ كو 1: 2؛ 1 تى 5: 16.

(177) انظر: أع 9: 13، 32، 41 ؛ رو 1: 7، 1 كو 1: 2 ؛ أف 1: 1 ؛ فى 4: 21

(178) Harnack , Missions ... p. 405

فالتسمية الثالثة "إخوة وأخوات" تعبير عن علاقتهم بعضهم ببعض كأعضاء فى جسد المسيح الواحد(179)**. تلك العلاقة الحبية التى كانت تدعو إلى الدهشة والإعجاب، كما أشرنا إلى ذلك قبلاً- إنها تسمية تلائم سلوكهم المسيحى (1بط 2: 17؛ 9:5)... وأسفار العهد الجديد وكتابات الآباء الرسوليين وبخاصة كتابات كليمنضس الرومانى وتعاليم الرسل Didache. تكشف لنا عن سمو حياة المسيحيين الأوائل وحياتهم الأخوية ...**

أما التسمية " مسيحيين " الشائعة الآن، فقد بدأت فى أنطاكية حينما " دعى التلاميذ مسيحيين فى أنطاكية أولاً (أع 11: 26)... ولم يستخدم بولس هذه التسمية فى رسائله، ولا نجدها فى أى موضع فى العهد الجديد كتسمية أطلقها المسيحيون على أنفسهم... فلم ترد إلا فى موضعين، ويبدو أنها مقتبسة مما تردد على ألسنة خصومهم (1 بط 4: 16؛ أع 28:26)... ومن ناحية أخرى لا نجد لها أى أثر فى كتابات الآباء الرسوليين ما عدا أغناطيوس الأنطاكى الشهيد الذى إستخدمها كثيرا - لقد أطلقت هذه التسمية للسخرية والاستهزاء باولئك الذين عبدوا المسيح الإله دون الإمبراطور الروماني. وقد بدأت السلطات الرومانية تستخدمها منذ عهد تراجان (98-117م)(180)**.**

---

(179) انظر : أع 14: 2 ؛ 17: 10 ؛ 14 ؛ 28: 14 ؛ رو16 : 14 ؛1كو16 : 12, 20 ؛غل1 :2 ؛ في1 : 14 ؛ 4 :21 ؛1تي :4 :6 ؛ عب 2: 11 ؛ 1يو3: 14

(180) Harnack, Missions ... pp. 405-412 ; Wuest, the Pastoral Epistles,p.83